أسباب وجود القراءات الشاذة

إعداد

أ.د. أحمد خالد شكري

قسم الدراسات الإسلامية- جامعة الإمارات العربية المتحدة

بحث مقدم إلى

الملتقى الدولي الثاني حول القراءات القرآنية والإعجاز

الذي تعقده مجموعة البحث في الدراسات القرآنية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة شعيب الدكالي – الجديدة – المملكة المغربية

في الفترة

١٩-٣٠-٢١/٥/١٤٣١هـ الموافق ٤-٥-٦/٥/٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين، وبعد

فإن الحديث عن القراءات الشاذة شائك وكثير التفرعات، ولعل من أهم ما ينبغي بحثه في القراءات الشاذة، هو تحديد الأسباب التي أدت إلى وجودها، والبحث في هذا الأمر ليس يسيرا، لأن مادته قليلة من جهة عدم إفراده بالبحث عند المصنفين في القراءات أو علوم القرآن عموما، وفي القراءات الشاذة تحديدا، وقد بحثت في كثير من هذه المؤلفات عن مثل هذا العنوان، أو قريب منه فلم أجد، كما أن مادته كثيرة من جهة أخرى، وهي كثرة ما يروى من قراءات شاذة مقارنة بالقراءات المتواترة، والبحث في هذا الكم الهائل عن رواية أو حادثة أو إشارة إلى موضوع البحث، يحتاج إلى جهد غير قليل.

وترجع أهمية البحث في أسباب وجود القراءات الشاذة التي تربو على المتواتر من القراءات بمقدار غير قليل، إلى تعلق هذا الموضوع بالقرآن الكريم، وهو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم المتكفل بحفظه، المنقول بالتواتر، والمعتنى به غاية الاعتناء، فسياج حفظ القرآن في غاية الإحكام والقوة، فمن أين جاءت هذه القراءات الشاذة الكثيرة؟ وما مصدرها؟

وبعد التتبع ومحاولة استقصاء أسباب وجود القراءات الشاذة، رأيت تقسيمها إلى قسمين:

الأول: كان قراءة مقبولة، ثم أصبح قراءة شاذة، ويندرج فيه: ما نسخت تلاوته، وما يخالف رسم المصحف العثماني، وما قل رواته.

الثاني: لم يكن قراءة في الأصل، ويندرج فيه: ما كان من باب التفسير وتبيين المعنى، سواء أكان ذلك بتغيير اللفظ أو بالإدراج أي بإضافة كلمات زائدة على نص الآية، كما يندرج فيه الاجتهاد في القراءة ممن كان يرى جواز ذلك، أو تعمد وضع قراءة بهدف الانتصار لمذهب ما أو لهدف آخر، ويندرج فيه وقوع النقلة في السهو والخطأ والغلط، بعدم الضبط عن القارئ، أو حصول الوهم في كيفية قراءته، أو حصول التصحيف في القراءة أو الكتابة.

وجعلت كل قسم منهما في مبحث، وقدمت بين يدي ذلك تمهيدا احتوى تعريف القراءات الشاذة ومسائل تتعلق بها، وفي نهاية البحث عرضت لأهم نتائجه، والله الموفق لكل خير.

التمهيد

تعريف القراءات الشاذة ومسائل تتعلق بها

أولا: تعريف القراءات الشاذة:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ بمعنى تلا، يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآنا فهو قارئ[١].

أما اصطلاحا فلها تعريفات عديدة، منها أن: " القراءات اختلاف ألفاظ الوحي في كتبة الحروف أو كيفيتها"[٢]، وهذا التعريف يقتصر على الألفاظ التي حصل فيها خلاف بين القراء، ويعُد الألفاظ المتفق عليها خارجة من التعريف، إلا أن مِن علماء القراءات مَن أدخل الألفاظ المتفق عليها في التعريف فقال: "هو علم يعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطريق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كل وجه لناقله"[٣] وهذا التعريف يجعل علم التجويد من ضمن علم القراءات، بينما لا يشمله التعريف السابق، ولما كان كلا العلمين متعلقا بالأداء، وعلم القراءات أوسع من علم التجويد، فيكون التعريف الثاني أشمل، وعليه يكون علم التجويد جزءا من علم القراءات خلافا لمن جعله علما مستقلا عن القراءات أو جعلهما علمين متداخلين في جوانب، مفترقين في جوانب أخرى[٤].

والشاذة لغة: تدل على الانفراد ومفارقة ما عليه الجماعة، والقلة والتفرق، يقال: شذ يشِذ – بالكسر – ويشُذ – بالضم – شذا وشذوذا، وأشذه: إذا أقصاه ونحاه[٥].

---

[١] ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة قرأ، ١٢٨/١ و١٢٩، دار صادر، بيروت.

[٢] الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ٣٠٨/١، دار المعرفة، بيروت.

[٣] عبد الفتاح القاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ص٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

[٤] انظر: عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ص ١٢٧ و١٢٨، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.

[٥] أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، معجم مقاييس اللغة، ٦٠٩/١، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٩٩٩م، وإسماعيل بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ٢٥٦/٧، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، والجوهري، إسماعيل بن حماد، تاج اللغة وصحاح العربية، ١٩١/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط

والشاذة اصطلاحا: القراءة التي فقدت شرطا أو أكثر من شروط القراءة الصحيحة الثلاثة، وهي:

١- تواتر نقلها، أو صحة سندها مع الشهرة والاستفاضة.
٢- موافقتها رسم المصحف ولو تقديرا.
٣- موافقتها اللغة العربية ولو بوجه[٦]

ثانيا: أنواع القراءات الشاذة:

اعتنى عدد من العلماء بتقسيم القراءات الشاذة إلى أنواع، فجعلها مكي بن أبي طالب القيسي نوعين:

الأول ما صح نقله عن الآحاد، وصح وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف،

الثاني: ما نقله غير ثقة، أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية، وإن وافق خط المصحف[٧].

واستدرك عليه ابن الجزري بعد أن نقل كلامه واستحسنه بقوله: " وبقي قسم مردود أيضا، وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة، فهذا رده أحق، ومنعه أشد، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر"[٨].

وجعلها السيوطي أربعة أنواع هي:

١. الآحاد: وهو ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية، أو لم يشتهر.
٢. الشاذ: وهو ما لم يصح سنده.
٣. الموضوع: وهو ما لم تصح نسبته لقارئه.
٤. المدرج: وهو ما زيد في القراءات على وجه التفسير[٩].

١، ١٩٩٩، والزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ٢٢٣/٩، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧١م.

[٦] أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق: طيار آلتي قولاج، ١٨١-١٨٤، دار صادر بيروت، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، والجعبري، إبراهيم بن عمر، كنز المعاني في شرح حرز الأماني، الورقة ٣/ب، وابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، مراجعة: علي محمد الضباع، ٩/١، دار الكتب العلمية، بيروت، والنويري، محمد بن محمد، القول الجاذ في تحريم القراءة بالشواذ، ورقة: ١٠ و١٢-١٤.

[٧] مكي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، ص٥١ و٥٢، دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

[٨] ابن الجزري، النشر، ١٧/١.

[٩] السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٧٧/١، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ومن يتأمل في هذه التقسيمات يجدها حوت أنواع القراءات الشاذة، وإن كان يمكن تقسيمها إلى فروع جزئية أخرى، فمن حيث السند تحتمل القراءة الشاذة ثلاثة احتمالات: أن تكون صحيحة السند، وأن تكون ضعيفة السند، وأن تكون مقطوعة السند، ومن حيث نسبتها إلى قارئها، تحتمل احتمالين، وكذلك الحال بالنسبة للرسم، وموافقتها اللغة العربية، والقراءات التفسيرية تحتمل أن تكون بزيادة لفظ أو ألفاظ، كما تحتمل أن تكون بإبدال لفظ مكان آخر، وتحتمل القراءات الموضوعة أن تكون مما وضع قصدا لنصرة مذهب عقدي أو لهدف آخر، كما تحتمل أن تكون قد حصلت سهوا بسبب خطأ أو نسيان أو حصول تصحيف، وبهذا التقسيم تصبح القراءات الشاذة أنواعا كثيرة، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل في المباحث التالية بإذن الله تعالى.

ثالثا: متى بدأ وجود القراءات الشاذة:

كانت العرضة الأخيرة حدا فاصلا بين ما قبلها وما بعدها، وهذا ما يفهم من نصوص متعددة سيأتي ذكرها في المبحث الأول بإذن الله تعالى، فكل ما لم يثبت فيها من وجوه القراءة فهو شاذ، كما أن قيام عثمان بن عفان رضي الله عنه بجمع المصحف وإلزام الناس بما فيه، وإحراق النسخ الأخرى كان حدا قاطعا بين المرفوض والمقبول من القراءات[10]، علما بأن استخدام لفظ الشذوذ لم ينتشر في تلك الفترة، ولعل بدايات استعماله كانت في القرن الثاني، حين بدأ هارون بن موسى الأعور العتكي[11] بتتبع الوجوه الشاذة والبحث عنها[12].

---

[10] السيد رزق الطويل، في علوم القراءات، ص ٥٩ و٦٠، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ومحمد سالم محيسن، في رحاب القرآن الكريم، ٤٣٣/١، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، وشعبان محمد إسماعيل، القراءات أحكامها ومصدرها، ص ١١٥ دعوة الحق، سلسلة شهرية تصدر عن رابطة العالم الإسلامي، ط٢، ١٤١٤هـ. وعبد القيوم عبد الغفور السندي، صفحات في علوم القراءات، ص ٨٢-٨٤، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٥هـ.

[11] أبو عبد الله، الأزدي مولاهم، روى القراءة عن عاصم الجحدري، وعاصم بن أبي النجود، وابن كثير، وابن محيصن، قال أبو حاتم السجستاني: كان أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألفها وتتبع الشاذ منها، وذكر المستشرق جولد تسيهر، أن هارون العتكي كان يهوديا قبل أن يعلن إسلامه ويلتحق بقبيلة الأزد عن طريق الولاء، وأنه كان على مذهب المعتزلة في حرية الإرادة (ر: ابن الجزري، غاية النهاية ٣٤٨/٢، وجولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، ص ٥٥ و٥٦ دار اقرأ، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.)

[12] انظر: أبا شامة، المرشد الوجيز، ص ١٨١، وابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ٦٩، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، وحسين عطوان، القراءات القرآنية في بلاد الشام، ص٧، دار

إلا أن الفاصل الدقيق بين القراءات المقبولة والمرفوضة بقي متأرجحا غير متفق عليه، وقد نقلت أوجه من القراءة في مؤلفات القراءات على أنها مقبولة مقروء بها، وإذا بها في كتب أخرى غير موجودة، أو مذكورة على أنها شاذة، وهذا واضح عند المقارنة بين بعض كتب القراءات، فمثلا يورد أبو معشر الطبري[١٣] في كتابه التلخيص رواية نصير عن الكسائي، ويذكر في أول الكتاب أسانيده بها، وهي عنده قراءة صحيحة مقروء بها، أما أبو عمرو الداني فلم يورد رواية نصير في كتابه التيسير، ولذا وجدنا محقق التلخيص يحكم على كل ما اختص به نصير في روايته عن الكسائي بالشذوذ[١٤]، كما نجد في المحتسب لابن جني قراءات لأبي جعفر وغيره من القراء العشرة يحكم عليها بالشذوذ[١٥]، في حين تذكر هذه القراءات على أنها متواترة في عدد من الكتب كالإرشاد[١٦]، والكنز[١٧]، وغيرهما، وقد حصل نوع من التمييز النسبي بين المتواتر والشاذ أيام ابن مجاهد (ت ٣٢٤ ه)، ثم أبي عمرو الداني (ت ٤٤٤ ه)،

الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٢ه، ١٩٨٣م، ومحمود الصغير، القراءات الشاذة، ص ٧٨ و٤٠ و٣٨، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٩ه، ١٩٩٩م، وعبد القيوم عبد الغفور السندي، صفحات في علوم القراءات، ٨٢-٨٤،

[١٣] عبد الكريم بن عبد الصمد، شيخ أهل مكة في زمانه، إمام عارف بالقراءات، من مؤلفاته التلخيص في القراءات الثمان، وسوق العروس فيه ألف وخمسمائة رواية وطريق، وغيرهما ت ٤٧٨هـ (ر: ابن الجزري، غاية النهاية ١/٤٠١).

[١٤] يراجع: أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ت ٤٧٨ه) التلخيص في القراءت الثمان، تحقيق: محمد حسن عقيل موسى، ص ١٨١ و١٨٢ و١٩٨ و٢٦١ و٢٧٦ و٣٥٣ و٤١٦ الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط١، ١٤١٢ه، ١٩٩٢م، ويقارن ما أورده فيها من قراءات عن نصير بعدم وجودها في التيسير أو السبعة أو الشاطبية.

[١٥] أبو الفتح عثمان بن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق: علي النجدي ناصف وعبد الفتاح شلبي، ١/٧١ و٩٤ و١٣٧ و١٤٣ و١٨٨ و٣٠٧ و٢/٣ و٢٥٣ و٣٣٨، دار سزكين للنشر، ط٢، ١٤٠٦ه، ١٩٨٦م.

[١٦] أبو العز محمد بن الحسين القلانسي، إرشاد المبتدي وتذكرة المنتهي في القراءات العشر، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، للمواضع التي ذكرها ابن جني في المحتسب أنها شاذة ص ٢١٩ و٢٢٥ و٢٤٨ و٢٥٠ و ٢٨٢ و٣٥٩ و٣٧٧ و٣٩٧، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٤ه، ١٩٨٤م.

[١٧] عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي، الكنز في القراءات العشر، تحقيق: هناء الحمصي، للمواضع التي ذكرها ابن جني في المحتسب أنها شاذة ص ١٢٦ و١٢٨ و١٣٢ و١٣٦ و١٤٦ و١٧٠ و١٦٨ و١٨١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م.

إلا أنه استقر وتم التمييز الدقيق بين المتواتر والشاذ في القرن التاسع على يد الإمام الفذ ابن الجزري[١٨].

رابعا: حكم القراءة بالشاذ:

جمهور العلماء على حرمة القراءة بالشاذ إن قصد القارئ أنها من القرآن أو أوهم السامع ذلك أما إن قصد تبيينها مع التنبيه على شذوذها وأنها ليست قرانا، وإنما تروى للاحتجاج بها في الأحكام والفقه، عند من يراه – وسيأتي الحديث عنه بعد قليل – أو اللغة والنحو، أو للعلم بها، فلا بأس في ذلك ولا حرج، وهي من جملة العلوم المنقولة والمتداولة، وقد كان العلماء وما زالوا يتناقلونها ويروونها في مؤلفاتهم، ويتلقونها بأسانيدهم[١٩]، قال يوسف زاده: " وأما ما فوق العشرة فقد أجمع العلماء على أنها شاذة، والذي استقرت عليه المذاهب وآراء العلماء فيها أن أحدا إن قرأ بها غير معتقد أنها قرآن ولا موهم أحدا ذلك، بل قرأ بها على طريق الرواية غير متجاهر بالتلاوة بها في محافل المسلمين، ومجامع المؤمنين، ومجالس الإقراء من الجوامع والمساجد، لما فيها من الأحكام الشرعية عند من يحتج بها، والأحكام الأدبية فلا كلام في جوازها، وعلى هذا يحمل حال كل من حكي عنه أنه قرأ بها من المتقدمين، وهو أقل قليل، ولذلك أيضا يجوز تدوينها في الكتب لا للقراءة بها كما سبق "[٢٠].

خامسا: حكم الصلاة بالقراءة الشاذة:

في هذه المسألة خلاف بين المذاهب، بيانه على النحو التالي:

يرى الحنفية أن الصلاة لا تفسد بقراءة الشاذ، ولكن لا تجزئ هذه القراءة عن القراءة المفروضة، ومن ثم تفسد صلاته إذا لم يقرأ معه بالمتواتر، فالفساد لترك القراءة بالمتواتر لا

---

[١٨] محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة، ص ٧٢ و٧٥ و٩٨ و٣١ و٨٩ و٩٢ و٩٣ و٩٦ و١٠١، ومحمد موسى نصر، اختيارات الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام ومنهجه في القراءة، ص ١٥٢، دار الحامد، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

[١٩] النويري، محمد بن محمد، شرح طيبة النشر، ورقة ٣٣، والقسطلاني، أحمد بن محمد لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: عامر السيد عثمان، وعبد الصبور شاهين، ٧٢/١ و٧٣، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر،١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م، وعبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، ص١٠ ، دار الكتاب العربي، بيروت، وحول القراءات الشاذة وحرمة القراءة بها، بحث في مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية، بالمدينة المنورة، ص١٧، العدد ١، ١٤٠٢هـ.

[٢٠] يوسف زاده، رسالة في شواذ وجوه القراءات، ورقة ١٥/أ، وسيأتي التعريف به لاحقا.

للقراءة بالشاذ[٢١]، ونص المالكية على عدم بطلان الصلاة بالشاذ، إلا إذا خالف المصحف[٢٢]، وذهب الشافعية إلى أنه لا تجوز القراءة في الصلاة بالشاذ، لأنها ليست قرآنا، فإن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وتبطل به الصلاة إن غير المعنى[٢٣]، ومذهب الحنابلة حرمة القراءة بما يخالف الرسم، ولا تصح الصلاة به، وفي رواية عن أحمد: تكره القراءة بما يخالف الرسم، وعلى هذه الرواية تصح الصلاة إذا صح سند القراءة، لأن الصحابة كانوا يصلون بقراءاتهم في عصره صلى الله عليه وسلم، وكانت صلاتهم صحيحة بغير شك[٢٤].

ونقل الإمام النووي اتفاق الفقهاء على استتابة من قرأ بالشواذ أو أقرأ بها، وبطلان صلاة من قرأ بها إن كان عالما، وإن كان جاهلا لم تبطل ولم تحسب له تلك القراءة، وعدم جواز الصلاة خلف من يقرأ بها[٢٥].

والراجح عدم صحة الصلاة بالقراءة الشاذة، وعلى هذا الرأي عدد كبير من العلماء، لأن القراءة الشاذة لا تعد قرآنا لعدم ثبوتها بالتواتر، وإن صح سندها واشتهرت[٢٦]

---

[٢١] ابن عابدين، محمد أمين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، ١/٤٨٥ و٤٨٦، دار الفكر، ط ٢، ١٣٨٦ هـ، ١٩٦٦م، وعبد العلي الأنصاري، فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت، ٢/١٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

[٢٢] العدوي، علي، حاشية العدوي على شرح الخرشي على مختصر سيدي خليل، ٢/٢٥، دار صادر، بيروت، والدسوقي، محمد عرفة، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ١/٣٢٨، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، مصر.

[٢٣] النووي، يحيى بن زكريا، المجموع شرح المهذب، ٣/٣٦١، مطبعة الإرشاد، جدة، وزكريا الأنصاري، شرح روض الطالب من أسنى المطالب، ١/٦٣ و١٥١، المكتبة الإسلامية، والبجيرمي، سليمان بن محمد، تحفة الحبيب على شرح الخطيب، المشهورة بحاشية البجيرمي، ٢/١٦٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

[٢٤] ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، ١/٤٩٣، وابن تيمية، مجموع الفتاوى،، ١٣/٣٩٤، وابن النجار الفتوحي، شرح الكوكب المنير، ٢/١٣٦، مكتبة العبيكان، والبهوتي، منصور بن يونس، كشاف القناع عن متن الإقناع، ١/٣٤٥، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، والموسوعة الفقهية، ٣٣/٥٦ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، مطابع دار الصفوة، ط١، ١٩٩٥م.

[٢٥] النووي، يحيى بن زكريا، التبيان في آداب حملة القرآن، ص٤٧ و٤٨، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م، وانظر: المجموع، ٣/٣٦١.

[٢٦] ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، المغني، ١/٤٩٢، وزكريا الأنصاري، شرح روض الطالب، ١/٦٣، وابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١/١٤، وأبو شامة، المرشد الوجيز، ١٨٥، وابن الجزري، النشر، ١/١٤، ومنجد المقرئين، ١٩، وابن النجار الفتوحي، شرح الكوكب المنير، ٢/١٣٦، والشنقيطي، نشر البنود على مراقي السعود ١/٦٨، دار الكتب العلمية، بيروت، وعبد المحسن بن ناصر آل عبيكان، غاية المرام شرح مغني ذوي الأفهام لابن عبد الهادي الحنبلي، ٤/٢١٥-٢٢٠

سادسا: الاحتجاج بالقراءة الشاذة في الفقه:

في الاحتجاج بالقراءة الشاذة عند الأصوليين والفقهاء رأيان:

الرأي الأول: يصح الاحتجاج بالقراءة الشاذة على أنها دليل ظني يمكن أن تثبت به الأحكام الشرعية، وهو قول الحنفية[٢٧]، والحنابلة[٢٨]، والراجح عند الشافعية[٢٩].

الرأي الثاني: لا يصح الاحتجاج بها، وهو قول المالكية[٣٠]، وبعض الشافعية[٣١]، ورواية عند الحنابلة[٣٢].

واستدل أصحاب الرأي الأول بأن هذه القراءة إما أن تكون قرآنا أو خبرا، وكلاهما يوجب العمل، فيكون حجة، حيث لا يلزم من انتفاء قرآنيته انتفاء خبريته، واستدل أصحاب الرأي الثاني بأن ناقل الرواية الشاذة لم ينقلها على أنها قرآن، فالقرآن لا يثبت إلا بالتواتر بالإجماع، وإذا لم يثبت قرآنا لا يثبت خبرا[٣٣]. والراجح الرأي الأول وهو صحة الاحتجاج بالقراءة الشاذة لقوة دليله، ولأن الصحابي لا يرويها على أنها قرآن، بل على أنها خبر، فلها حكم الرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إذ لا مدخل للرأي فيها، ولا يصح افتراض أنها مذهب للصحابي، إذ لو كانت كذلك لصرح به الصحابي ولا يعني هذا أنها حجة لا يعارضها معارض، فلو عارضها معارض أقوى في ثبوته أو دلالته فإنه يقدم عليها[٣٤].

سابعا: الاحتجاج بالقراءة الشاذة في اللغة:

الاحتجاج بالقراءة الشاذة على وجه من وجوه النحو، أمر قائم وواقع وأئمة اللغة والنحو يكادون يجمعون على جعلها مصدرا من مصادر احتجاجهم، فرواتها عرب فصحاء، وتشكل القراءات الشاذة سجلا حافلا باللهجات العربية المختلفة[٣٥].

---

[٢٧] عبد العلي الأنصاري، فواتح الرحموت، ٢/٢١.

[٢٨] ابن النجار الفتوحي، شرح الكوكب المنير، ٢/١٣٨

[٢٩] العطار، حسن، حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع لابن السبكي، ١/٣٠٠ و٣٠١.

[٣٠] الشنقيطي، عبد الله بن إبراهيم العلوي، نشر البنود على مراقي السعود، ١/٦٨.

[٣١] حاشية العطار على جمع الجوامع، ١/٣٠١.

[٣٢] ابن النجار الفتوحي، شرح الكوكب المنير، ٢/١٤٠

[٣٣] انظر: محمد خالد منصور، حكم الاحتجاج بالقراءة الشاذة عند الأصوليين، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، ص٣٧٥ و٣٧٦،عمان، المجلد ٢٦، العدد ٢، ١٩٩٩م، وعبد القيوم السندي، صفحات في علوم القراءات، ص٨٦ و٨٧.

[٣٤] انظر: محمد خالد منصور، حكم الاحتجاج بالقراءة الشاذة عند الأصوليين، ص ٣٧٧.

[٣٥] عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة، ص١٠، ومحمد فهد خاروف، القراءات والأحرف السبعة، ص ١٢٤ و١٢٥، دار العلوم الإنسانية، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

إلا أن عددا من أئمة النحاة كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والأخفش الأوسط وابن قتيبة[٣٦] والفراء، كان يرفض بعض وجوه القراءات الشاذة ويطعن فيها أو يردها إذا خالفت مقياسه النحوي أو قاعدته ومنهجه[٣٧].

وفرق عدد من أئمة النحاة كسيبويه والكسائي والقاسم بن سلام والمبرد وثعلب، بين القراءات الشاذة بسبب عدم تواترها أو بسبب مخالفتها الرسم، فهذه يصح الاستشهاد بها في اللغة قطعا، وبين القراءات الشاذة بسبب مخالفتها المشهور من قواعد العربية، فلا تقبل، بل كان بعض النحاة كالمازني وأبي حاتم السجستاني والزمخشري يرفض قراءات متواترة صحيحة، إلا أن أكثر العلماء على صحة الاحتجاج بها على وجه من وجوه اللغة وأخذ الدليل منها[٣٨].

ثامنا: من المؤلفات في القراءات الشاذة:

المؤلفات في القراءات عموما كثيرة، ومنها ما يختص بالمتواتر، بالسبع أو بالعشر، أو بقراءة واحدة أو برواية أو أكثر، ومنها ما يجمع بين المتواتر والشاذ، ومنها ما هو مختص بالشاذ فقط، وفي هذه القائمة ذكر لمجموعة من المؤلفات في القراءات الشاذة مرتبة حسب وفيات مؤلفيها،

كتاب هارون بن موسى الأعور (ت ١٩٨هـ) وهو أول من تتبع وجوه القراءات الشاذة وألفها، إلا أن كتابه في حكم المفقود، ولعل مقصود من ترجم له بعبارة: ألّفها، أنه جمع بينها وصنفها لا أنه جعلها في كتاب.

المصاحف، لأبي بكر عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦ هـ).

الشواذ في القراءات، لأبي بكر أحمد بن موسى بن مجاهد (ت٣٢٤هـ).

شواذ القراءات، لأبي الحسن محمد بن أحمد بن شنبوذ (ت٣٢٨ هـ).

شواذ القراءات، لأبي طاهر عبد الواحد بن عمر البزار (ت ٣٤٩هـ).

البديع في القراءات لابن خالويه (ت٣٧٠هـ) وله: مختصره، وهو منشور بعنوان: مختصر في شواذ القرآن.

---

[٣٦] عبد الله بن مسلم الدينوري، النحوي اللغوي الكاتب، نزيل بغداد، كان ثقة فاضلا دينا، من مصنفاته: إعراب القرآن، ومعانيه، ومشكله، ت ٢٦٧هـ (انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٠/١٧٠، والداودي، طبقات المفسرين، ١/٢٥١).

[٣٧] محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ٥١٨ –٥٣٢.

[٣٨] انظر: السيد رزق الطويل، في علوم القراءات، ص ٦٦، ومحمود الصغير، القراءات الشاذة، ٥١٨–٥٣٢.

المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) وهو توجيه للقراءات التي ذكرها ابن مجاهد في كتابه.

التعريف بالقراءات الشواذ، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، وفي كشف الظنون أن اسم الكتاب: المحتوى، ولعله كتاب آخر له

الإقناع في القراءات الشاذة، لأبي علي الحسن بن علي الأهوازي (ت ٤٤٦هـ) ونسبه الجعبري لأبي العز القلانسي، ولعله كتاب آخر.

اللوامح في شواذ القراءات، لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي (ت٤٥٤ هـ).

الشواذ في القراءات، لأحمد بن الفضل الأصبهاني الباطرقاني (ت ٤٦٠ هـ).

الرشاد في شرح القراءات الشاذة، لأبي معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري (ت٤٧٨هـ)

شواذ القراءات واختلاف المصاحف، لمحمود بن عبد الله الكرماني (ت ٥٠٥ هـ).

التقريب والبيان في معرفة شواذ القرآن، لعبد الرحمن بن أبي محمد الصفراوي (ت ٦٣٤هـ).

إعراب القراءات الشواذ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦هـ)

نهاية البررة فيما زاد على العشرة، لمحمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣ هـ) منظومة

القول الجاذ لمن قرأ بالشاذ، لمحمد بن محمد النويري (ت ٨٥٧هـ).

مقدمة في مذاهب القراء الأربعة الزائدة على العشرة، لسلطان بن أحمد المزاحي (ت ١٠٧٥ هـ).

الإفادة المقنعة في قراءات الأئمة الأربعة، لعبد الله بن مصطفى محمد الكوبريلي (ت ١١٤٨ هـ)

رسالة في وجوه شواذ القراءات، ليوسف أفندي زاده (ت ١١٦٧هـ).

الفوائد المعتبرة في القراءات الأربعة الزائدة على العشرة، لمحمد بن أحمد المتولي (ت ١٣١٣هـ) منظومة، وله شرح عليها باسم: موارد البررة، واختصره عبد المتعال عرفة باسم: الرياحين العطرة.

القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، لعبد الفتاح القاضي (ت ١٤٠٣هـ).

المبسوط في القراءات الشاذة وتوجيهها، للدكتور محمد سالم محيسن.

القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، للدكتور محمود أحمد الصغير.

تاسعا: تنبيهات:

١- لا يعد ورود القراءة الشاذة عن بعض العلماء طعنا في شخصيته وثقته ومكانته العلمية، فقد وردت قراءات شاذة عن عدد من كبار الصحابة كابن مسعود وعثمان وعلي، وعن كبار التابعين كالحسن البصري وسعيد بن جبير، وعن كبار العلماء كأبي حنيفة والشافعي وغيرهم[٣٩].

٢- وردت قراءات شاذة عن بعض القراء العشرة أو رواتهم المشهورين، وقد أشار إلى ذلك ابن الجزري في الطيبة بقوله:

وحيثما يختل ركن أثبت شذوذه لو أنه في السبعة[٤٠]

وتكون هذه الروايات منقولة عنهم بأسانيد آحاد، أو عن غير الرواة المشهورين عنهم، ومن الأمثلة عليها: ما روي عن أبي عمرو أنه قرأ: (ملك يوم الدين) [الفاتحة/٤] بإسكان اللام[٤١]، وما ورد عنه وعن أبي جعفر أنهما قرآ: (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) [البقرة/٦٠] بكسر الشين[٤٢]، وما روي عن الكسائي أنه قرأ: (تكن فتنة في الأرض وفساد [كثير: بالثاء بدلا من] كبير) [الأنفال/٧٣] [٤٣]، وهذه الروايات عنهم لا يقرأ لهم بها، بل المعتمد ما صح عنهم تواترا[٤٤].

---

[٣٩] محمد سالم محيسن، في رحاب القرآن الكريم، ١/٤٤٤.

[٤٠] ابن الجزري، طيبة النشر في القراءات العشر، باعتناء: محمد تميم الزعبي، البيت ١٦، ص٣٢، مكتبة دار الهدى، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

[٤١] أبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي، البحر المحيط، ١/٢٠، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض.

[٤٢] أبو حيان، البحر المحيط، ١/٢٢٩.

[٤٣] أبو حيان، البحر المحيط ٤/٥٢٣.

[٤٤] محمد سالم محيسن، في رحاب القرآن الكريم، ١/٤٤٥ و٤٤٦، وأيمن رشدي سويد، محقق التذكرة في القراءات الثمان لطاهر بن عبد المنعم بن غلبون، ص ٢٧، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، وعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، ١/١١٢، مطبوعات جامعة الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

المبحث الأول

القراءات المنتقلة من الصحة إلى الشذوذ

تشكل القراءات التي كانت صحيحة ثم انتقلت إلى أن يحكم عليها بالشذوذ، نسبة من القراءات الشاذة، ويمكن حصر أسباب انتقال هذه القراءات من القبول إلى الشذوذ في النقاط التالية:

١- أن تكون هذه القراءة من الأحرف المنسوخة أو المتروكة.
٢- أن تكون هذه القراءة مما يخالف رسم المصحف العثماني.
٣- أن تكون هذه القراءة مما قل رواته مع الزمن.

ويمكن جمعها في نقطة واحدة وهي: مخالفة مقياس القراءة، وفيما يلي تفصيل الحديث عنها.

المطلب الأول

الأحرف المنسوخة أو المتروكة

اشتهر بين الباحثين في علم القراءات أن الأحرف السبعة ليست باقية كلها بل بعضها، إلا أنهم اختلفوا في تحديد هذا البعض الباقي هل هو حرف واحد أو أكثر، حيث وردت روايات عديدة وأقوال عن الأئمة تبين أن ما ثبت واستقر بعد العرضة الأخيرة أي المرة الأخيرة التي عارض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن مع جبريل عليه السلام، هو ما يجب اعتماده، وهو الباقي من الأحرف، وأن ما ترك في هذه العرضة فهو في حكم المنسوخ أو المتروك، وفي هذه العرضة استقر ترتيب السور والآيات، ولذا حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تلقين العرضة الأخيرة عددا من الصحابة، ممن اشتهروا بالقراءة وكتابة الوحي، ومن هؤلاء: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت[٤٥] .

قال ابن الجزري: " ولا شك أن القرآن نسخ منه وغُيّر فيه في العرضة الأخيرة، فقد صح النص بذلك عن غير واحد من الصحابة، وروينا بإسناد صحيح عن

---

[٤٥] ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باعتناء: محمد فؤاد عبد الباقي، ٩/٤٤، دار المعرفة، بيروت.

زر بن حبيش قال: قال لي ابن عباس: أي القراءتين تقرأ ؟ قلت: الأخيرة، قال: فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل عام مرة، قال: فعرض عليه القرآن في العام الذي قبض فيه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين، فشهد عبد الله يعني ابن مسعود ما نسخ منه وما بدل، فقراءة ابن مسعود الأخيرة، وإذ قد ثبت ذلك فلا إشكال أن الصحابة كتبوا في هذه المصاحف ما تحققوا أنه قرآن، وما علموه استقر في العرضة الأخيرة، وما تحققوا صحته عن النبي صلى الله عليه وسلم مما لم ينسخ "[٤٦].

وقال :" واختلف العلماء في جواز القراءة بذلك – أي المخالف للرسم – في الصلاة فأجازها بعضهم لأن الصحابة والتابعين كانوا يقرأون بهذه الحروف في الصلاة، وهذا أحد القولين لأصحاب الشافعي وأبي حنيفة، وإحدى الروايتين عن مالك وأحمد[٤٧]، وأكثر العلماء على عدم الجواز لأن هذه القراءات لم تثبت متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإن ثبتت بالنقل فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة أو بإجماع الصحابة على المصحف العثماني، أو أنها لم تنقل إلينا نقلا يثبت بمثله القرآن، أو أنها لم تكن من الأحرف السبعة. . . "[٤٨]، ولابن تيمية وغيره عبارات مشابهة تفيد حصول النسخ بالعرضة الأخيرة[٤٩].

وبقي عدد غير قليل من الصحابة لم يحضر العرضة الأخيرة ولم يعلم بها، كما أن عددا منهم كانت لهم مصاحف خاصة تختلف في ترتيبها وتتفاوت في مدى استيعابها لسور القرآن الكريم، فهم يقرأون بما حفظوه من قبل، أو بما أثبتوه في مصاحفهم مما لم يعلموا بنسخه أو إزالته، ولا يمكن على هذا الرأي تحديد نسبة ما ترك من الأحرف إلى ما بقي منها، وإن كان يغلب على الظن قلة نسبة ما نسخ إلى ما بقي، إذ الأصل البقاء لا النسخ، قال ابن الجزري: " الذي لا شك فيه أن قراءة الأئمة

---

[٤٦] ابن الجزري، النشر، ١/٣٢

[٤٧] سبق في التمهيد ترجيح عدم صحة الصلاة بالقراءة الشاذة، وهو رأي أكثر العلماء.

[٤٨] ابن الجزري، النشر، ١/١٤ و١٥.

[٤٩] يراجع: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٣/٣٩٥ و٣٩٧، الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين، السعودية، والنويري، القول الجاذ، ورقة ٢٤، ومحمد سالم محيسن، في رحاب القرآن، ١/٤٣٤، وعراك إسماعيل إبراهيم، القراءات القرآنية حتى عهد ابن مجاهد، ص ١٤٦ و١٤٧ و١٤٩، رسالة ماجستير في جامعة بغداد، مطبوعة على الآلة الكاتبة.

السبعة والعشرة والثلاثة عشر وما وراء ذلك بعض الأحرف السبعة من غير تعيين . . ."[٥٠]

أما العلماء الذين ذهبوا إلى القول بأن الأحرف السبعة كانت رخصة لأهل الصدر الأول فقط، وأن عثمان رضي الله عنه جمع الناس على حرف واحد وترك ما عداه لانتفاء الحاجة إليه، ولما سببه وجود هذه الأحرف من خلاف بين متعلمي القرآن ومعلميه، فإن المتروك من هذه الأحرف سيكون كثيرا، ومهما بذل من جهد لنسيانه وتركه سيبقى له أثر ويمكن عند أصحاب هذا القول، وهم عدد غير قليل من العلماء، منهم الإمام الطبري، ومكي، والقرطبي، وابن عبد البر[٥١]، وغيرهم[٥٢]، حمل القراءات الشاذة التي فيها زيادة ألفاظ أو إبدال لفظ بآخر قريب منه في المعنى على أنها من هذا الباب، كما يمكن حملها على أنها من باب التفسير كما سيأتي، ومن الأمثلة عليها: (وأتموا الحج والعمرة [إلى البيت] لله) [البقرة/١٩٦]، (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم [في مواسم الحج] [فابتغوا حينئذ]) [البقرة/١٩٨]، (حافظوا على الصلوات و [على] الصلاة الوسطى [صلاة العصر] [وهي العصر] [وصلاة العصر]) [البقرة/٢٣٨]، (الذي جعل لكم الأرض فراشا) [البقرة/٢٢]، قرئ بدل فراشا: مهادا، بساطا، (كلما أضاء لهم مشوا فيه) [البقرة/٢٠] قرئ بدل مشوا: سعوا، مضوا، مروا، (للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاؤوا [فيهن] [فيها]) [البقرة/٢٢٦] وقرئ بدل يؤلون: يقسمون، آلوا[٥٣].

---

[٥٠] ابن الجزري، المنجد، ص٥٦.

[٥١] يوسف بن عبد الله القرطبي المالكي، من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ أديب، له مؤلفات متعددة منها: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، والتمهيد، وجامع بيان العلم وفضله، ت ٤٦٣هـ (انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ٨/٢٤٠).

[٥٢] ينظر مثلا: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/ ٢٢، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٣، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، و مكي بن أبي طالب، الإبانة، ص ٣٣ و٣٤ و٤٤ و٥٣، ومحمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص١٧٨ و١٧٩، دار اللواء، الرياض، ط٣، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ومناع القطان، نزول القرآن على سبعة أحرف، ص ٧٢، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م

[٥٣] يراجع في هذه القراءات الشاذة: ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان، المصاحف، ص ٦٤ و٦٥ و٦٦ و٨٧ و ٩٦ و٩٧ و٩٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١/ ٤٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، وأبو حيان، البحر المحيط، ١/٩١ و٩٧ و٢/٧٤ و٩٤ و١٨٠ و٢٤٠، وعبد العال سالم مكرم وأحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية، ١/٣٧ و١٧٣ و١٨٥.

المطلب الثاني

مخالفة رسم المصحف

سبق في التمهيد تبيين أن كتابة المصحف زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه تعد حدا فاصلا بين ما يقبل من القراءات وما يرد، فالمقبول ما وافق الرسم إذا نقل متواترا ووافق اللغة، وما خالف الرسم فمردود مرفوض لا تحل القراءة به، ونصوص العلماء المؤكدة لهذا المعنى كثيرة، منها قول مكي بن أبي طالب: " إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحت روايتها عن الأئمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة فمن بعدهم عليه، واطرح ما سواه مما يخالف خطه، فقرئ بذلك لموافقة الخط لا يخرج شيء منها عن خط المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه وبعث بها إلى الأمصار، وجمع المسلمين عليها، ومنع من القراءة بما يخالف خطها، وساعده على ذلك زهاء اثني عشر ألفا من الصحابة والتابعين، واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ، وإن صحت ورويت"[٥٤]، وقوله: " وسقط العمل بما يخالف خط المصحف من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن بالإجماع على خط المصحف"[٥٥].

وقال ابن الجزري: " والقسم الثاني من القراءة الصحيحة: ما وافق العربية وصح سنده وخالف الرسم، كما ورد في صحيح[٥٦] من زيادة ونقص وإبدال كلمة بأخرى، ونحو ذلك مما جاء عن أبي الدرداء وعمر وابن مسعود وغيرهم، فهذه القراءة تسمى اليوم شاذة لكونها شذت عن رسم المصحف المجمع عليه، وإن كان إسنادها صحيحا"[٥٧]، وقال:" وأيضا فنحن نقطع بأن كثيرا من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرأون بما خالف رسم المصحف العثماني قبل الإجماع عليه من زيادة كلمة وأكثر، وإبدال أخرى بأخرى ونقص بعض الكلمات، كما ثبت في الصحيحين

---

[٥٤] مكي بن أبي طالب القيسي، الإبانة عن معاني القراءات، ٣٢.

[٥٥] مكي، الإبانة، ٣٤.

[٥٦] كذا في المطبوعة، ولعل المراد: الصحيح، أو الصحيحين.

[٥٧] ابن الجزري، المنجد،١٦ و١٧.

وغيرهما، ونحن اليوم نمنع من يقرأ بها في الصلاة وغيرها منع تحريم لا منع كراهة، ولا إشكال في ذلك"[٥٨]

وهكذا أصبحت موافقة رسم المصحف شرطا أساسيا من شروط صحة القراءة، والقراءة التي لا توافق هذا الرسم تبقى خارج المصحف، إلا أنه ومع قرار المنع من القراءة بما يخالف الرسم، بقي عدد من الناس متمسكا بالقراءة بما يخالف الرسم مع قناعتهم بصواب فعلهم[٥٩]، ولذا وقف علماء القراءة ممن يفعل ذلك موقفا حاسما غلقا للباب، ومنعا للتهاون في القراءة بما يخالف الرسم، حتى بلغ الأمر إلى درجة الضرب والاستتابة لمن يفعل ذلك، فهذا محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت البغدادي، المشهور بابن شنبوذ[٦٠]، وهو من أئمة القراءة إلا أنه كان يرى جواز القراءة بما يخالف رسم المصحف، مما كان يُقرأ به قبل جمع عثمان، ومما كان يقرأه: ([فامضوا، بدلا من] فاسعوا إلى ذكر الله) [الجمعة/٩]، (وتجعلون [شكركم، بدلا من] رزقكم أنكم تكذبون) [الواقعة/٨٢]، (وكان [أمامهم، بدلا من] وراءهم ملك يأخذ كل سفينة [صالحة] غصبا) [الكهف/٧٩]، ([كالصوف، بدلا من] كالعهن المنفوش) [القارعة/٥]، (فلما خر تبينت [الإنس أن الجن لو ، بدلا من] الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا [حولا] في العذاب المهين) [سبأ/١٤]، وغيرها، فعقد له الوزير ابن مقلة[٦١] مجلسا بحضور القضاة والفقهاء والقراء، وفي مقدمتهم ابن مجاهد، شيخ القراء في بغداد، وتمت مساءلة ابن شنبوذ فيما ينسب به، فأقر به ودافع عنه وأبى أن يرجع عنه، فأنكر ذلك عليه جميع من حضر المجلس، وأشاروا بعقوبته، فضرب عدة سياط فاستغاث وأذعن بالرجوع، فكتب عليه كتاب بتوبته وأشهد على ذلك[٦٢]

---

[٥٨] ابن الجزري، المنجد، ٢١.

[٥٩] انظر: محمود الصغير، القراءات الشاذة، ص٣٤ و٣٧.

[٦٠] أحد أئمة القراء البغداديين، رحل في طلب القراءة، وكان صالحا عالما، أخذ القراءة عن: إبراهيم الحربي، والعباس بن الفضل الرازي، وقنبل، وغيرهم، وكان مع جلالة علمه يرى جواز القراءة بما يخالف الرسم حتى استتيب عن ذلك، ت ٣٢٨هـ (ر: ابن الجزري، غاية النهاية ٢/٥٢-٥٦).

[٦١] محمد بن علي، وزير شاعر، تقلد الوزارة ثلاث مرات لثلاثة من الخلفاء، وابتلي بقطع يده ولسانه ومات في السجن سنة٣٢٨هـ (انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ٦/٢٧٣).

[٦٢] انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ١/٢٨٠، دار الكتب العلمية، بيروت، وأبو شامة، المرشد الوجيز، ١٨٧ -١٩٢، وفيه أن ابن شنبوذ أغلظ القول للوزير والحاضرين، وأنهم لم يسافروا في طلب العلم، وعلق أبو شامة على الحادثة بأن الأولى في التعامل معه الرفق واللين أو الاعتقال والإغلاظ في القول لا الضرب والبطش كما يفعل مع المجرمين، والذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: بشار عواد معروف وزميليه، ١/٢٧٦ – ٢٧٩، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤

ومن الأمثلة للقراءات الشاذة المخالفة للرسم سوى ما سبق نحو: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر [ويستعينون الله على ما أصابهم]) [آل عمران/١٠٤]، (فما استمتعتم به منهن [إلى اجل مسمى] فآتوهن أجورهن) [النساء/٢٤]، [لا تحسبن أن البر] بدل (ليس البر) [البقرة/١٧٧]، (إن تعذبهم [فعبادك، بدل]فإنهم عبادك) [المائدة/١١٨][٦٣].

وقد يتساءل المرء عن كيفية وصول هذه القراءات المخالفة للرسم بعد أن أمر عثمان بحرق المصاحف وإلزام الناس بالمصحف الإمام، يرى بعض الباحثين[٦٤] حصول ذلك بطريقين، هما:

١- أن من الصحابة من لم يحرق مصحفه بل احتفظ به، ومما يدل عليه ما رواه عبد الأعلى بن الحكم الكلابي، قال: أتيت دار أبي موسى الأشعري، فإذا حذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وأبو موسى الأشعري فوق إجّار[٦٥] لهم، فقلت: هؤلاء والله الذين أريد، فأخذت أرتقي إليهم فإذا غلام على الدرجة فمنعني فنازعته، فالتفت إليّ بعضهم وقال: خلّ عن الرجل، فأتيتهم حتى جلست إليهم، فإذا عندهم مصحف أرسل به عثمان، وأمرهم أن يقيموا مصاحفهم عليه، فقال أبو موسى: ما وجدتم في مصحفي هذا من زيادة فلا تنقصوها، وما وجدتم من نقصان فاكتبوه"[٦٦].

٢- أن عثمان عندما أُخذ عليه منعه الناس من القراءة بما يخالف مصحفه عاد فأجاز القراءة بما يخالف، دفعا لأي كلام يمكن أن يقال فيه، أو منعا لانتشار الفتنة، فقد جاء في الرواية أن أهل الفتنة لما أرسل إليهم عثمان عليا ليسألهم ما

م، وابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: ج، برجستراسر، ٥٢/٢ – ٥٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، وفيهما أن ابن شنبوذ كان يحط على ابن مجاهد، ويتألم لتقدمه عليه، وأنه دعا على الوزير بقطع اليد وتشتت الشمل، وقد حصل أن قطعت يد الوزير وذل، وتوفي كلاهما أي ابن شنبوذ وابن مقلة في سنة واحدة، ٣٢٨هـ، ولبيب السعيد، الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص ٢٢٧ –٢٣٣،دار المعارف، ط٢، وفيه أن ما أصاب ابن مقلة لم يكن بسبب دعاء ابن شنبوذ عليه، فإن العلماء وحاضري المجلس لم يصبهم ضرر مع أنهم أشاروا بالضرب وأقروه، بل بسبب تقلبات الساسة، فقد سبق له أن عزل وضيق عليه، ثم عاد للوزارة.

[٦٣] ابن أبي داود، المصاحف، ص٤٨ و٦٣ و٦٨ و٧١ و٨٨.

[٦٤] محمد سالم محيسن، في رحاب القرآن الكريم، ٤٣٣/١ –٤٣٦، ونقله عنه شعبان إسماعيل، القراءات أحكامها ومصدرها، ١١٦ – ١١٩.

[٦٥] الإجّار: السطح (أبو بكر بن عبد القادر الرازي،مختار الصحاح، مادة: أجر، ص٦، مؤسسة علوم القرآن).

[٦٦] ابن أبي داود، المصاحف، ص٤٤.

الذي نقموا عليه وماذا يريدون، قالوا: نقمنا عليه أنه محا كتاب الله . . . وكان من رد عثمان: أما القرآن فمن عند الله وإنما نهيتكم لأني خفت عليكم الاختلاف فاقرأوا على أي حرف شئتم..."[٦٧].

وهاتان الروايتان لا تصلحان للاحتجاج بهما، فقد انفرد بهما ابن أبي داود[٦٨]، وفي سند الرواية الأولى عبد الأعلى بن الحكم، قال فيه محقق كتاب المصاحف: " لم أجد فيه جرحا ولا تعديلا"[٦٩]، وسند الرواية الثانية منقطع، " لأن إسماعيل بن أبي خالد لم يلق عثمان ولا عليا، وعلي بن مسهر له غرائب بعد أن أضر، وعثمان بن هشام لم أعثر له على ترجمة"[٧٠]، ومتنهما يخالف ما صح واشتهر من أمر عثمان بإحراق المصاحف ومنعه الناس من القراءة بما يخالف مصحفه، " فما كان لبعض الصحابة وهم من الخيار أن يخفوا مصاحفهم عن عثمان، وما كان لعثمان أن يفتح بابا تحمس من أول الأمر لإغلاقه، وهو الذي لا يخشى في الله لومة لائم، وإذا كان عثمان رضي الله عنه أجاز القراءة بالحروف التي تخالف مصحفه فلماذا إذن يخفي بعض الصحابة مصاحفهم؟ إن التناقض في هذا الرأي واضح. . ."[٧١]

فيكون جواب السؤال عن كيفية تسرب هذه القراءات، هو اعتناء آحاد من الناس بنقلها وتتبعها، فإن من عادة الناس الشغف بنقل الغريب والممنوع، فبقيت بعض هذه الوجوه تتناقل، ويتحدث عنها آحاد من الناس، فهي ليست مما نقل تواترا، أو مما نقل على أنه من القرآن.

المطلب الثالث

قلة الرواة

تحدث عدد من العلماء عما كان يقرأ به في الصدر الأول من قراءات قل رواتها مع الزمن، مبينين أن المؤلفات التي وضعت في القراءات لم تكن لتستطيع استيعاب جميع ما كان

---

[٦٧] ابن أبي داود، المصاحف، ص ٤٥ و٤٦.

[٦٨] عبد الله بن سليمان بن الأشعث، صاحب كتاب المصاحف، كان من كبار المقرئين، ومن تلاميذه: ابن مجاهد وعبد الواحد بن عمر بن أبي هاشم، وقد اختلف في توثيقه، وأكثر من كتب عنه يميل إلى تبرئته مما اتهم به، ت ٣١٦هـ (انظر:ابن الجزري، غاية النهاية، ٤٢١/١، ومحب الدين سحبان واعظ، تحقيق كتاب المصاحف ٣٥/١ – ٤٩، وزارة الأوقاف قطر، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م وآرثر جفري، تحقيق كتاب المصاحف، ص١٢، المطبعة الرحمانية بمصر، ط١، ١٣٥٥هـ، ١٩٣٦م).

[٦٩] محب الدين واعظ، محقق كتاب المصاحف، ٢٤٢/١ و٢٤٣.

[٧٠] محقق كتاب المصاحف، ٢٤٥/١ و٢٤٦.

[٧١] السيد رزق الطويل، في علوم القراءات، ٥٩ و٦٠.

يقرأ به وينقل عن شيوخ القراءة، كما أن معظم المؤلفات في علم القراءات تم الاقتصار فيها على راويين فقط لكل قارئ، ومن المعلوم بداهة أن عدد تلاميذ ورواة القراء العشرة كثيرون، فما يرويه هؤلاء الرواة المختارون عن الأئمة بعض ما كانوا يقرأون ويقرئون به، ويدل على ذلك الاختلاف المنقول عن الرواة، وقد يكون بين الراويين عن الإمام اختلاف كثير، كما بين قالون وورش عن نافع، وبين الدوري والسوسي عن أبي عمرو، وقد يكون يسيرا كما بين البزي وقنبل عن ابن كثير، وبين إسحاق وإدريس عن خلف البزار.

قال ابن الجزري: " وقول من قال: إن القراءات المتواترة لا حدّ لها، إن أراد في زماننا فغير صحيح، لأنه لا يوجد اليوم قراءة متواترة وراء العشر، وإن أراد في الصدر الأول فيحتمل إن شاء الله "[٧٢] وقد عاد وأكد في موضع آخر أنه قد توجد قراءات متواترة في زمنه وهو لا يعلمها، فإن التواتر قد يكون عند قوم دون قوم[٧٣].

وقال: " فثبت من ذلك أن القراءة الشاذة ولو كانت صحيحة في نفس الأمر، فإنها مما كان أُذن في قراءته ولم يتحقق إنزاله، وإن الناس كانوا مخيرين فيها في الصدر الأول، ثم أجمعت الأمة على تركها للمصلحة، وليس في ذلك خطر ولا إشكال، لأن الأمة معصومة من أن تجتمع على خطأ "[٧٤].

وقال ملا علي القاري[٧٥]: " واعلم أن القراءة الشاذة حرام بإجماع أئمة الإسلام، وإنما نسبت إلى الأئمة الأعلام مثل: الأعمش والحسن بناء على أنها كانت عندهم متواترة ثم صارت شاذة بفقد بعض شروط التواتر، على ما هو مقر في الأصول والكتب المبسوطة في علم القراءة "[٧٦].

وبين أبو حيان[٧٧]، وهو من أئمة القراء، أن اقتصار أئمة القراءات في مؤلفاتهم على القراء العشرة، وعلى راويين عن كل قارئ لا يشمل جميع القراءات الواردة، فقال: " التيسير

---

[٧٢] ابن الجزري، المنجد، ص١٦.

[٧٣] انظر: ابن الجزري، المنجد، ٧٨.

[٧٤] ابن الجزري، المنجد، ٢٤.

[٧٥] علي بن محمد، فقيه حنفي من كبار علماء عصره، له مؤلفات في التجويد والتفسير والفقه، ت ١٠١٤هـ (انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ٥/١٢).

[٧٦] نقله عنه يوسف زاده في: رسالة في شواذ القراءة، ورقة٩، وقال إنه مذكور في كتاب ملا علي القاري الذي خرج فيه القراءات التي ذكرها البيضاوي في تفسيره، وهو كتاب غير مطبوع ولم أتمكن من الاطلاع عليه.

[٧٧] محمد بن يوسف بن علي الغرناطي، إمام في القراءة والتفسير والنحو والحديث والتراجم واللغات، له مؤلفات زادت عن الثمانين، من أشهرها: البحر المحيط وشرح ألفية ابن مالك، ت ٧٤٥هـ (انظر: خيرالدين الزركلي، الأعلام، ٧/١٥٢).

لأبي عمرو الداني، والشاطبية لابن فيره، لم يحويا جميع القراءات السبع، وإنما هي نزر يسير من القراءات السبع، ومن عني بفن القراءات وطالع ما صنفه علماء الإسلام في القراءات علم ذلك العلم اليقين . . . وتلخص من هذا كله اتساع روايات غير أهل بلادنا – الأندلس – وإن الذي تضمنه التيسير والتبصرة والكافي وغيرها من تآليف أهل بلادنا إنما هو قل من كثر، ونزر من بحر، وبيان ذلك أن في هذه الكتب مثلا قراءة نافع من رواية ورش وقالون، وقد روى الناس عن نافع غير ورش وقالون، منهم إسماعيل بن جعفر المدني، وأبو خليد، وابن جماز، والأصمعي، والمسيبي، وغيرهم، وفي هؤلاء من هو أعلم وأوثق من ورش وقالون، ثم روى أصحابنا رواية ورش عن أبي يعقوب الأزرق، ولم يتسع لهم أن يضمنوا كتبهم رواية يونس بن عبد الأعلى، وداود بن أبي طيبة، وأبي الأزهر عبد الصمد بن عبد الرحمن، وأبي بكر الأصبهاني عن شيوخه عن ورش، وكل هؤلاء قرأوا على ورش، وفيهم من هو أعلى وأوثق من ورش[٧٨]، وهذا أنموذج مما روى أصحابنا في كتبهم، وكذا العمل في كل قارئ قرأ، وكل راو روى من الأربعة عشر راويا الذين ضمنهم أصحابنا كتبهم "[٧٩].

وما في كتب أهل مصر والمشرق لا يكاد يختلف عما في كتب أهل الأندلس من قراءات، حتى إن كتاب النشر، وهو أوسع كتاب في القراءات العشر، اقتصر فيه ابن الجزري على الراويين المشهورين عن كل إمام، مع تكثيره الطرق عن الراوي، فبلغ مجموع طرقه تسع مئة وثمانين طريقا[٨٠]، ومع كثرة هذه الطرق فإن عددا من الروايات عن القراء العشرة لم تذكر في هذا الكتاب الجامع، وهي مذكورة في كتب عدد من علماء القراءات، كالغاية والتلخيص على أنها من القراءات العشر أو السبع، وكانوا يقرأون بها ويُقرئونها.

منها رواية إسماعيل بن جعفر، وإسحاق المسيبي عن نافع، والمفضل عن عاصم، ونصير وقتيبة عن الكسائي، أوردها أبو الحسن طاهر بن غلبون[٨١] (ت ٣٩٩هـ) في كتابه: التذكرة في القراءات الثمان[٨٢]، وكان كل ما أورده ابن غلبون في التذكرة يُقرأ به، فهذا ابن

---

[٧٨] كذا في المطبوعة، والصواب: الأزرق، لأن الحديث عنه.

[٧٩] نقله عنه ابن الجزري في منجد المقرئين، ص ٢٥ – ٢٧، ولم يبين في أي كتاب قاله، وقد رجعت إلى البحر المحيط وعدد من مؤلفات أبي حيان المطبوعة ولم أعثر عليه فيها، فلعله في أحد مؤلفاته في القراءات، ولم أتمكن من الاطلاع عليها.

[٨٠] انظر هذه الطرق في النشر لابن الجزري، ١/٩٨ – ١٩٠، ومحمد سالم محيسن، في رحاب القرآن الكريم، ١/٣٠٠ – ٣٨٣.

[٨١] طاهر بن عبد المنعم الحلبي، أستاذ في علم القراءات ضابط ثقة، قرأ على أبيه وغيره، من مؤلفاته: التذكرة في القراءات الثمان، ت ٣٩٩هـ (انظر: ابن الجزري، غاية النهاية ١/٣٣٩).

[٨٢] انظر ابن غلبون، التذكرة، ص ٤ و٦ و٩.

الجزري المتوفى بعد ابن غلبون بأكثر من أربع مائة سنة يقول: " وقرأت بمضمنه القرآن كله "[٨٣]، ومع ذلك فإن ما انفردت به الروايات الزائدة التي في هذا الكتاب غير مذكورة في النشر، لأن مؤلف النشر اختار من الروايات والطرق أصحها[٨٤]، ولذا فهي الآن في عداد القراءات الشاذة، وقد حكم عليها محقق التذكرة – وهو من علماء القراءات المشهورين الآن – بالشذوذ في مواضعها، وأفرد لها قائمة خاصة في آخر الكتاب منبها على شذوذها[٨٥].

ومنها روايات وطرق للقراء الثمانية ذكرها أبو معشر الطبري في كتابه التلخيص، لا يُقرأ بها الآن، وحكم عليها محقق الكتاب بالشذوذ[٨٦]، فلم تعد متواترة في أيامنا هذه كما كانت أيام المؤلف.

ويوجد في غير هذين الكتابين من مؤلفات القراءات روايات أو طرق، أو كلمات، قل رواتها، وخرجت عن المقروء به، منها كتاب السبعة، والتبصرة، والمبهج، والروضة، والبستان، وقرأ ابن الجزري بمضمنها القرآن كله[٨٧].

وقد اشتهرت – مثلا – قراءة أبي عمرو البصري، من طريقي الدوري والسوسي وكلاهما أخذ عن اليزيدي، عن أبي عمرو، مع أن المشهورين المعروفين ممن قرأ على أبي عمرو عددهم أربعة وثلاثون رجلا[٨٨]، وهم يروون عن أبي عمرو أوجها فيها ما يخالف ما رواه عنه اليزيدي، ولا يُقرأ بها اليوم لانقطاع أسانيدها، وعدد المشهورين من الرواة عن اليزيدي ستة وعشرون رجلا[٨٩]،لم يشتهر منهم وتصل قراءتهم إلينا متواترة سوى الدوري والسوسي، والذين أخذوا عن هذين الإمامين كثيرون، ولكن لم تصلنا أوجه قراءتهما إلا من خلال الطرق المعروفة المحدودة التي ذكرها ابن الجزري في النشر[٩٠].

فما في جميع هذه الكتب من طرق وروايات وألفاظ، تُقرأ بغير ما ثبت في الشاطبية والدرة والنشر – وهي الآن الكتب الجامعة للقراءات العشر المتواترة بقسميها: الكبرى والصغرى – فلا يُقرأ بها لانقطاع سندها، وقلة رواتها، فلم يبق لها موقع بين القراءات الثابتة بالنقل المتواتر القطعي[٩١].

---

[٨٣] ابن الجزري، النشر، ٧٣/١.

[٨٤] ابن الجزري، النشر، ٩٨/١ و١٩٢ و١٩٣..

[٨٥] أيمن رشدي سويد، محقق التذكرة، ص ٦٨٠ –٦٨٨.

[٨٦] محمد حسن عقيل، محقق التلخيص، ص ٤٩٣.

[٨٧] انظر: ابن الجزري، النشر، ٧٤/١ و٧٨ و٨١ و٨٣ و٩٧.

[٨٨] ذكرت أسماؤهم عند ابن الجزري في النشر ٤١/١ و٤٢، وغاية النهاية ٢٨٩/١ و٢٩٠.

[٨٩] ذكرهم ابن الجزري في غاية النهاية، ٣٧٥/٢ و٣٧٦.

[٩٠] ابن الجزري، النشر، ١٢٣/١ – ١٣٥..

[٩١] انظر: أيمن رشدي سويد، مقدمة تحقيق التذكرة، ص٢٥ و٢٦، وعبد العال سالم مكرم، وأحمد مختار عمر، معجم القراءات القرآنية ١١٢/١

المبحث الثاني

ما لم يكن قراءة

يمكن أن يدرج في هذا المصدر من مصادر القراءات الشاذة عدة أنواع، فمنه ما كان ينقل على أنه تفسير للفظ أو للجملة، وإذا به يتحول وينقل على أنه قراءة، ومنه الظن بأن باب الاجتهاد والاختراع في القراءة جائز إذا وافقت القراءة الرسم واللغة، ويندرج ضمن هذا النوع اختراع أوجه من القراءة لم ترد، لنصرة مذهب عقدي أو اتجاه ما، أو لهدف آخر، ومنه نقل أخطاء على أنها قراءة، وفي المطالب التالية تفصيل الحديث عن هذه الأسباب التي أدت إلى وجود قراءات شاذة.

المطلب الأول

نقل روايات تفسيرية على أنها قراءة

إن جزءا مما يروى على أنه قراءة شاذة، هو في الأصل تفسير للآية، وتبيين لمعناها وتوضيح لها، حصل فيه عند بعض النقلة تحريف أو وهم، فبدلا من أن تنقل الرواية على أنها تفسير، تنقل على أنها قراءة، ومعظم هذا النوع من المدرج أي مما زيد على ألفاظ الآية من ألفاظ موضحة أو مفسرة، وقد يكون بإبدال لفظ مكان آخر.

وكان عدد من الأئمة ممن يروي هذه القراءات الشاذة أو يوردها في كتابه ينبه على أنها من باب التفسير، ومن ذلك قول ابن الأنباري عن القراءة المنسوبة لابن مسعود: (إن الدين عند الله [الحنيفية، بدلا من:] الإسلام) [آل عمران/١٩] " ولا يخفى على ذي تمييز أن هذا الكلام على جهة التفسير، أدخله بعض من ينقل الحديث في القراءات"[٩٢]، وقول النحاس والقرطبي عن القراءة المنسوبة إلى ابن مسعود وابن عباس: (وما أصابك من سيئة فمن نفسك [وإنما قضيتها عليك، ونسب إلى ابن مسعود وأبي: وأنا قدرتها عليك]) [النساء/٧٩] أنها من باب التفسير[٩٣]، وكان أبو حيان كثيرا ما يعقب على هذه القراءات بأنها من باب التفسير، ومن

---

[٩٢] نقله عنه أبو حيان، البحر المحيط، ٢/٤١٠.

[٩٣] النحاس، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، ١/٤٣٧، وزارة الأوقاف، العراق، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٥/٢٨٥.

ذلك تعقيبه على القراءة المنسوبة لابن مسعود: ([فوسوس لهما الشيطان، بدلا من] فأزلهما الشيطان عنها) [البقرة/٣٦] بقوله: "وهذه القراءة مخالفة لسواد المصحف المجمع عليه، فينبغي أن يجعل تفسيرا، وكذا ما ورد عنه وعن غيره مما يخالف سواد المصحف"[٩٤]، وتعقيبه على القراءة المنسوبة إلى مجاهد: (ولم يلبسوا إيمانهم [بشرك، بدلا من] بظلم) [الأنعام/٨٢] بقوله: "ولعل ذلك تفسير معنى، إذ هي قراءة تخالف السواد"[٩٥]، ومن ذلك تعليق عبد الغفور جعفر على القراءة المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض [فهدمه ثم قعد[٩٦] بينه، بدلا من] فأقامه) [الكهف/٧٧] بقوله: "وهي زيادة على المصحف تفسيرية كما ترى"[٩٧].

ومن أسباب نقل هذه التفاسير على أنها قراءات، أنها كانت تخلط – كتابة ولفظا، أو لفظا فقط – بألفاظ التفسير، مما يوهم أنها من النص نفسه[٩٨]، وقد يريد بعضهم بهذه الزيادة حماية تفسيره من أي قول آخر ينافسه بإثباته مع المصحف، وبنسبته إلى الصحابة[٩٩].

قال أبو عبيد: "أما ما جاء من هذه الحروف التي لم يؤخذ علمها إلا بالإسناد، والروايات التي تعرفها الخاصة من العلماء دون عوام الناس، فإنما أراد أهل العلم منها أن يستشهدوا على تأويل ما بين اللوحين، ويكون دلائل على معرفة معانيه، وعلم وجوهه، وذلك كقراءة عائشة وحفصة: (والصلاة الوسطى [صلاة العصر]) [البقرة/٢٣٨] وكقراءة ابن مسعود: ([والسارقون والسارقات] فاقطعوا [أيمانهم]) [المائدة/٣٨] . . . وكقراءة جابر: (فإن الله من بعد إكراههن [لهن] غفور رحيم) [النور/٣٣] فهذه الحروف وأشباه لها كثيرة قد صارت مفسرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين فيستحسن، فكيف إذا روي عن

---

[٩٤] أبو حيان، البحر المحيط ١٦١/١.

[٩٥] أبو حيان، البحر المحيط، ١٧١/٤، ولمزيد من الأمثلة ينظر: ٢٦/١ و٢٩ و٩٠ و٩٥ و٩٧ و١٨٩ و٢٥١ و٣٢٤ و٧٢/٢ و٩٤ و١٦٨/٣ و٢٤٠.

[٩٦] كذا في الكتاب، ولعله: عقد.

[٩٧] عبد الغفور محمود مصطفى جعفر، القرآن والقراءات والأحرف السبعة، الحقيقة العلاقة صحة النقل، ص ٢٥٣، وانظر: ٢٣٨ و٢٦٥، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

[٩٨] محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، ٣٨/٢، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ط١، ١٤١١هـ، ود. محمد الحبش، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، ص٨٠، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩، ود. عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص٨٠، دار القلم، ١٩٦٦م، والسيد أحمد خليل، دراسات في القرآن، ص٩٩، دار النهضة العربية، ١٩٦٩م.

[٩٩] جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص٢٥.

لباب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم صار في نفس القراءة فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى، وأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل"[١٠٠].

المطلب الثاني

القراءة بالاجتهاد وما لم يرد

قبل بدء الحديث عن هذا السبب من أسباب وجود القراءات الشاذة ينبغي الوقوف قليلا عند فكرة الاجتهاد في القراءة، فقد كان بعض العلماء يرى أن الأحرف السبعة ليست أحرفا منزلة ولكنها رخصة من الله للناس أن يقرأوا بما هو أيسر عليهم من ألفاظ أو كيفيات الأداء، واستدلوا على ذلك بمفهوم بعض الروايات، مثل ما ورد عن ابن مسعود أنه كان يقرئ رجلا، فقرأ الرجل: (إن شجرة الزقوم طعام [اليتيم، بدلا من:] الأثيم) [الدخان/٤٣، ٤٤] ولم يستطع النطق بلفظ: الأثيم، فأقرأه ابن مسعود: [الفاجر] بدلا منه[١٠١]، وما ورد في بعض روايات حديث الأحرف السبعة من إبدال ألفاظ بغيرها، كما في الرواية عن أبي بن كعب قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: يا أبي إني أُقرئت القرآن، فقيل لي: على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذي معي: قل على حرفين، قلت: على حرفين، فقيل لي: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذي معي: قل على ثلاثة، قلت: على ثلاثة، حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف، إن قلت: سميعا عليما عزيزا حكيما، ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب[١٠٢].

وهذا اتجاه خطير في فهم الروايات والبناء عليها، وقد تولى الرد عليه أئمة هذا العلم، قال ابن الجزري: " وأما ما وافق المعنى والرسم أو أحدهما من غير نقل، فلا تسمى شاذة بل

---

[١٠٠] أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، تحقيق: وهبي سليمان الغاوجي، ص١٩٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

[١٠١] أبو عبيد القاسم بن سلام، فضائل القرآن، ص ١٨٣، وفي سنده نعيم بن حماد، قال فيه ابن حجر: صدوق يخطئ كثيرا (تقريب التهذيب، ص ٥٦٥) ود. غازي عناية، شبهات حول القرآن وتفنيدها، ص١٣٥، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

[١٠٢] رواه أبو داود في كتاب الصلاة، برقم: ١٤٧٧، ٢/٧٦.

مكذوبة يكفر متعمدها"[١٠٣]، وقال: " وبقي قسم مردود أيضا وهو ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتة فهذا رده أحق ومنعه أشد، ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر"[١٠٤].

وقال أبو عمرو بن الصلاح[١٠٥]: " وأما القراءة بالمعنى من غير أن ينقل قرآنا فليس ذلك من القراءات الشاذة أصلا، والمجترئ على ذلك مجترئ على عظيم، وضال ضلالا بعيدا فيعزر ويمنع بالحبس ونحوه"[١٠٦].

وكان محمد بن الحسن بن مقسم العطار[١٠٧] يرى أن القراءة إذا وافقت الرسم ووجها من وجوه العربية تقبل وتصحح وإن لم ترو عن أحد، فاستتيب فرجع عن رأيه واختياره بعد أن وقّف للضرب، وقد استنكر عليه رأيه هذا العلماء في زمنه، وهذا أبو طاهر بن أبي هاشم[١٠٨] يقول عنه: " وقد نبغ نابغ في عصرنا هذا فزعم أن كل من صح عنده وجه في العربية لحرف من القرآن يوافق خط المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، فابتدع بقيله ذلك بدعة ضل بها عن قصد السبيل وأورط نفسه في منزلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله، وحاول إلحاق كتاب الله من الباطل ما لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه إذ جعل لأهل الإلحاد في دين الله بسيء رأيه طريقا إلى مغالطة أهل الحق بتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالآراء دون الاعتصام والتمسك بالأثر . . ."[١٠٩]، ومما يروى عنه أنه كان يقرأ: (فلما استيأسوا منه خلصوا [نُجُبا، بدلا من:] نَجيا) [يوسف/٨٠] بضم النون

---

[١٠٣] ابن الجزري، منجد المقرئين، ص١٧.

[١٠٤] ابن الجزري، النشر، ١/١٧.

[١٠٥] عثمان بن عبد الرحمن الكردي، أحد علماء التفسير والحديث والفقه، ولي التدريس في دمشق والقدس، له مؤلفات أشهرها: معرفة أنواع علم الحديث، المشهور بمقدمة ابن الصلاح، (انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ٤/٢٠٧).

[١٠٦] نقله عنه ابن الجزري، في منجد المقرئين، ص١٨، وقد رجعت إلى عدد من مؤلفات ابن الصلاح فلم أجد العبارة فيها.

[١٠٧] أبو بكر البغدادي، كلن مشهورا بالضبط والإتقان، وعالما بالعربية،له اختيار في القراءة، ت ٣٥٤ (انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ٢/١٢٣).

[١٠٨] عبد الواحد بن عمر بن محمد البغدادي، إمام في القراءة والنحو، قرأ على جماعة منهم: ابن مجاهد وهو الذي خلفه في الإقراء في مجلسه، ت ٣٤٩ (انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٤٧٥).

[١٠٩] أبو طاهر بن أبي هاشم، البيان عن اختلاف القراءة، ونقله عنه: أبو شامة، المرشد الوجيز، ص١٨٦، والذهبي، معرفة القراء الكبار، ١/٣٠٨، وابن الجزري، غاية النهاية، ٢/١٢٤، وكتاب البيان لأبي طاهر لم أتمكن من الاطلاع عليه.

والجيم وبالباء، على أنه جمع نجيب، وتروى عنه: [أنجباء] ومع مخالفة هذه القراءة للأثر، فإنها بعيدة في المعنى، إذ لا وجه للنجابة عند يأسهم من أخيهم[١١٠].

ومما يندرج ضمن القراءة بما لم يرد، ما يمكن التعبير عنه بالموضوع[١١١]، وهو أخطر أسباب وجود القراءات الشاذة على الإطلاق، فنقل وجه من وجوه القراءة على أنه كان مما يقرأ، أو بناء على فهم ما واجتهاد أدى إلى فعل ذلك، أو بسبب حصول سهو أو خطأ، أو توهم التفسير أنه قراءة، كل هذه الأمور تهون أمام الوضع ودس روايات وافتراء أوجه لنصرة مذهب أو لأي سبب آخر، فما أعظم جرم من فعل ذلك، وإن خطورة الوضع في القراءة أعظم وأشد من الوضع في الحديث.

قال ابن الجزري: " وقرأ أهل البدع والأهواء بما لا يحل لأحد من المسلمين تلاوته، فوضعوه من عند أنفسهم وفاقا لبدعتهم"[١١٢]

وقد تبين من خلال البحث أن أسباب اختراع قراءة ما يرجع لأحد أمرين، فيما يلي بيانهما:

الأول: الوضع لنصرة مذهب عقدي: توجد قراءات شاذة يظهر عليها بوضوح أنها مصنوعة، كما تشير إشارة مباشرة إلى اتجاه واضعيها، والفرق التي عثرت على قراءات شاذة تنسب إليها هم الشيعة والمعتزلة.

ومن القراءات الموضوعة لنصرة المذهب الشيعي ما ادّعي على عبد الله بن مسعود أنه قرأ : (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم [وآل محمد، بدلا من] وآل عمران على العالمين) [آل عمران/٣٣][١١٣]، وما نسب إلى ابن مسعود أيضا: (وكفى الله المؤمنين القتال [بعلي بن أبي طالب] وكان الله قويا عزيزا) [الأحزاب/٢٥][١١٤]، وما نسب إليه: (ورفعنا لك ذكرك [بعليّ صهرك]) [الشرح/٤][١١٥]، وما رُوي من قراءة: (وما كنت متخذ المضلين عضدا) [الكهف/٥١] بفتح اللام من: المضلين، على التثنية، وعلى أن المراد بهما: أبو بكر وعمر

---

[١١٠] ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٨/١٥٠، ومصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن، ص٥٧، ونقله عنهما: د. لبيب السعيد، الجمع الصوتي الأول للقرآن، ص٢٣٤.

[١١١] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١/٢٦٥.

[١١٢] ابن الجزري، المنجد، ص٢٣.

[١١٣] أوردها أبو حيان في البحر المحيط، ٢/٤٣٥، وأوردها الطبرسي: حسين بن محمد تقي النوري، في كتابه: فصل الخطاب، ص١١٣، ونقلها عنه: عبد الصبور شاهين في تاريخ القرآن، ص١٧٤.

[١١٤] الطبرسي، فصل الخطاب، ١١٤، ونقله عنه عبد الصبور شاهين في تاريخ القرآن، ص١٧٤، ولم أتمكن من النقل عن كتاب فصل الخطاب مباشرة لعدم توفره.

[١١٥] عبد الصبور شاهين، تاريخ المصحف، ص١٧٤.

رضي الله عنهما[١١٦]، وما رُوي عن جعفر الصادق أنه قرأ: (كنتم خير [أئمة، بدلا من] أمة) [آل عمران/١١٠][١١٧]، وما رُوي عنه: (وسيعلم الذين ظلموا [آل محمد حقهم] أي منقلب ينقلبون) [الشعراء/٢٢٧][١١٨]، وما نسب لعائشة أنها قرأت: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك [أن عليا مولى المؤمنين] وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) [المائدة/٦٧][١١٩]، وما نسب إليها أنها قرأت: [وعلي معه] بدل(والذين معه) [الفتح/٢٩][١٢٠]، وما نسب إلى ابن مسعود وأبي: [والسابقون بالإيمان بالنبي فهم علي وذريته الذين اصطفاهم الله من أصحابه وجعلهم الموالي على غيرهم أولئك هم الفائزون (الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)][١٢١].

ومما وضع لتأييد مذهب المعتزلة، ما نسب لنعيم بن ميسرة[١٢٢] أنه قرأ: (منهم من كلم الله) [البقرة/٢٥٣] بنصب لفظ الجلالة[١٢٣]، وما نسب لإبراهيم النخعي[١٢٤]، ويحيى بن وثاب[١٢٥] أنهما قرآ: (وكلم الله موسى تكليما) [النساء/١٦٤] بنصب لفظ الجلالة[١٢٦]، على أنه سبحانه في

---

[١١٦] ابن الجزري، منجد المقرئين، ص٢٣.

[١١٧] تفسير القمي، ونقلها عنه جولد تسهير، مذاهب التفسير الإسلامي، ص٩١، ولم أتمكن من النقل من تفسير القمي مباشرة لعدم توفره.

[١١٨] تفسير القمي، ونقلها عنه جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٣١٠.

[١١٩] تفسير القمي، ونقلها عنه جولد تسيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ص٣١٠، وذكرها آرثر جفري في ملحق كتاب المصاحف لابن أبي داود، ص٤٠.

[١٢٠] آرثر جفري، ملحق كتاب المصاحف، ص٩٢.

[١٢١] ذكرها آرثر جفري في ملحق كتاب المصاحف، ص٩٧، ضمن القراءات الواردة في سورة الواقعة، موضع الآيتين ١٠ و ١١ (والسابقون السابقون أولئك المقربون) ويلاحظ الاختلاف الكبير بين الموضعين، وتداخل النص المزعوم مع الآية ١١ من سورة المؤمنون.

[١٢٢] أبو عمرو الكوفي، النحوي، نزيل الري، روى الحروف عن أبي عمرو وعاصم بن أبي النجود، ويروى عنه حروف شواذ من اختياره، ت ١٧٤ (انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٣٤٢).

[١٢٣] ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص١٥، المطبعة الرحمانية، مصر.

[١٢٤] إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي الكوفي، قرأ على الأسود بن يزيد، وعلقمة بن قيس، قرأ عليه: سليمان الأعمش، وطلحة بن مصرف، ت ٩٦هـ (انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ٢٩/١ ، وابن حجر، تقريب التهذيب، ١/٤٦).

[١٢٥] الأسدي مولاهم الكوفي، تابعي ثقة من العباد الأعلام، تعلم القرآن من عبيد بن نضلة، وعلقمة والأسود ومسروق وأبي عبد الرحمن السلمي وغيرهم، عرض عليه: سليمان الأعمش، وطلحة بن مصرف، قال ابن جرير: كان مقرئ أهل الكوفة، ت ١٠٣هـ (انظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١/٦٢، وابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٣٨٠).

[١٢٦] ابن جني، المحتسب، ١/٢٠٤، وابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، ٤/٣١٢، وزارة الأوقاف، المغرب، ط١، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م، وأبو حيان، البحر المحيط، ٣/

الآيتين مكلَّم – بفتح اللام – فواضعو هاتين القراءتين من نفاة صفة الكلام عن الله تعالى، وفاتهم ثبوت هذه الصفة في آيات أخرى لا يمكن تغيير أي من حركاتها أو ألفاظها، كما في قوله تعالى: (ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه) [الأعراف/١٤٣]، وما نسب لزيد بن علي[١٢٧] والحسن وطاووس وعمرو بن فائد[١٢٨] أنهم قرأوا: (قال عذابي أصيب به من [أساء، بدلا من] أشاء) [الأعراف/١٥٦][١٢٩]، قال أبو عمرو الداني: " لا تصح هذه القراءة عن الحسن وطاووس، وعمرو بن فائد رجل سوء"[١٣٠]، وقال ابن جني في توجيهها: " هذه القراءة أشد إفصاحا بالعدل من القراءة الفاشية"[١٣١]، وما نسب لعمرو بن فائد وعمرو بن عبيد وأبي حنيفة أنهم قرأوا: (من شر ما خلق) [الفلق/٢] بتنوين [شرٍ][١٣٢]، وقد اشتد نكير العلماء على هذه القراءة، وردوها وبينوا فساد معناها، فقال مكي: " ومن قرأه (من شر) بالتنوين فقد ألحد وغير اللفظ والمعنى"[١٣٣]، وقال ابن عطية[١٣٤]: " وقرأ عمرو بن فائد وبعض المعتزلة القائلين بأن الله

٣٩٨، وابن الجزري، منجد المقرئين، ص٢٣، ونقل الزمخشري توجيها بعيدا لهذه القراءة فقال: " وزعم بعضهم أن كلَّم هنا من الكلم وهو الجرح، أي جرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن" وعلَّق عليه بأنه من بدع التفاسير، (الزمخشري، الكشاف، ٣١٤/١، دار المعرفة، بيروت).

[١٢٧] ابن أحمد بن محمد بن عمران بن أبي بلال، العجلي الكوفي، قرأ على أحمد بن فرح وابن مجاهد وجماعة، وكان شيخ الإقراء في العراق في وقته، ت ٣٥٨هـ (انظر: الذهبي: معرفة القراء الكبار، ٣١٤/١، وابن الجزري، غاية النهاية، ٢٩٨/١).

[١٢٨] أبو علي الأسواري البصري، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، روى عنه الحروف: حسان بن محمد الضرير، وبكر بن نصر العطار، ت بعيد ٢٠٠هـ (انظر: ابن النديم، الفهرست، ٢٠٥، وابن الجزري، غاية النهاية، ٦٠٢/١).

[١٢٩] ابن جني، المحتسب، ٢٦١/١، وأبو حيان، البحر المحيط، ٤٠٢/٤.

[١٣٠] نقلها عنه: أبو حيان، البحر المحيط، ٤٠٢/٤.

[١٣١] ابن جني، المحتسب، ٢٦١/١.

[١٣٢] ابن خالويه، مختصر الشواذ، ص١٨٢، وابن عطية ٦٠٨/١٥، ط رئاسة المحاكم الشرعية بقطر، ومكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، ٨٥٥/٢، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٤م، والعكبري، إعراب القراءات الشواذ، تحقيق محمد السيد أحمد عزوز، ٧٦٠/٢، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، والهذلي، الكامل في القراءات الخمسين، ورقة ٢٥٠/ب، والنسفي، مدارك التنزيل، ٣٨٦/٤، دار الكتاب العربي، بيروت، وأبو حيان، البحر المحيط، ٥٣٠/٨، والشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٥٢٠/٥، دار الفكر، بيروت، ، وأحمد محمود صبحي، في علم الكلام المعتزلة، ص ١٢١.

[١٣٣] مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، ٨٥٥/٢.

تعالى لم يخلق الشر: (من شر) بالتنوين (ما خلق) على النفي، وهي قراءة مردودة مبنية على مذهب باطل، فالله خالق كل شئ"[١٣٥]، وقال الشوكاني[١٣٦]: "وقد حرف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه وتقويما لباطله فقرأوا بتنوين (شر) على أن (ما) نافية. "[١٣٧]، وتكلف بعضهم حملها على وجه يمكن أن يصح، وهو أن (ما خلق) بدل من (شر)[١٣٨].

ومما يجدر ذكره هنا أن الافتراء بنسبة ألفاظ إلى القرآن قد تطور عند أناس ليصبح سُوَرا، يُزعم أنها من القرآن، كما عند غلاة الشيعة من زعم سورتي: الولاية والنورين، وما نسب إلى مصحف أبي من إضافة سورتي: الحفد والخلع[١٣٩].

الثاني: الوضع على شخص بهدف الإساءة إليه، حيث تنسب له قراءة لم يقرأ بها، وغالبا ما تكون هذه القراءة ظاهرة الخطأ أو فيها إشكال واضح، ويمكن أن يدرج في هذا النوع ما نسب إلى كبار الصحابة من قراءات موضوعة – تم التمثيل بعدد منها قريبا – مما لا يمكن أن يصدر عنهم، ومنها القراءة التي نسبت إلى أبي حنيفة، وعمر بن عبد العزيز وهي: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر/٢٨] برفع لفظ الجلالة ونصب العلماء[١٤٠]، والظاهر أن نسبة هذه القراءة إليهما كان بقصد الإساءة، وإن حاول بعض العلماء تأويل معنى الخشية

---

[١٣٤] عبد الحق بن غالب المحاربي الغرناطي القاضي، كان فقيها عالما بالتفسير والأحكام والحديث والفقه، والنحو واللغة والأدب، وقد أبدع في تفسيره المحرر الوجيز وأجاد، ت ٥٤١هـ (انظر: السيوطي، طبقات المفسرين، ص ٥٠، والداوودي، طبقات المفسرين، ١/٢٦٥).

[١٣٥] ابن عطية، المحرر الوجيز، ١٥/٦٠٨

[١٣٦] محمد بن علي، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، له أكثر من مئة مؤلف في التفسير والحديث والفقه وغيره، منها فتح القدير، ونيل الأوطار والسيل الجرار، ت ١٢٥٠هـ (انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ٦/٢٩٨).

[١٣٧] الشوكاني، فتح القدير، ٥/٥٢٠.

[١٣٨] أبو حيان، البحر المحيط، ٨/٥٣٠.

[١٣٩] عبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن، ص١٧٤، وقد زعم بعض الدروز نصوصا يسمونها أعرافا بدلا من سور، منها: عرف الفتح، والأمر، والتقديم، وافترى بعض المارقين نصوصا أسموها سورا، منها: الإيمان، والتجسد، والسكينة، (انظر: محمود القاسم، في مسيرة الإعجاز العلمي في القرآن، ص ١١ – ١٥، دار الإعلام، عمّان، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م).

[١٤٠] الهذلي، يوسف بن جبارة، الكامل في القراءات الخمسين، ورقة ٢٣١/أ، ونسبها لأبي حنيفة، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٤/٣٤٤، ونسبها لعمر بن عبد العزيز، وأكد ابن الجزري، النشر، ١/١٦ وضعها على أبي حنيفة.

على هذه القراءة بالتعظيم والتكريم[١٤١]، فإن معناها لا يصح، مع ما فيها من مخالفة لرسم المصاحف العراقية[١٤٢]، ولا يتصور منهما حصول خطأ كهذا.

وراوي هذه القراءة عن أبي حنيفة هو أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي[١٤٣]، وقد اختلف في توثيقه، وطعن عدد ممن ترجم له فيه، وأنه كان يخلط في القراءات ولم يكن مأمونا فيها[١٤٤]، وقد جُعل مثلا في القراءات الموضوعة المكذوبة[١٤٥]، إلا أن ابن الجزري دافع عن الخزاعي ووصفه بأنه إمام جليل ثقة، وأن العهدة في الكتاب المنسوب إلى أبي حنيفة لم تكن عليه بل على الحسن بن زياد اللؤلؤي[١٤٦]، وقد تقدم أن ابن الجزري جعل عهدة ما في الكتاب المنسوب إلى أبي حنيفة عليه، وأرى أن الخزاعي وإن كان يروي هذا الكتاب عن اللؤلؤي، فإنه يشاركه في الخطأ وبئس الصنيع.

وقد توسع بعض المستشرقين في دعوى الوضع في القراءات، من خلال الزعم بأن القارئ كان يقوم بتعديل النص وفق فهمه للآية[١٤٧]، وإذا لم يعجبه المعنى حسب اللفظ المثبت فإنه يجتهد في تغييره إلى ما يراه الأنسب، وقد تولى عدد من علمائنا الكرام الرد على هذا الزعم الباطل وتفنيده[١٤٨].

---

[١٤١] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ٣٤١/١.

[١٤٢] رسم لفظ (العلموٰا) بحذف الألف وبواو بعد الميم وألف بعدها في المصاحف العراقية، (انظر: أبا عمرو الداني، المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق: محمد أحمد دهمان، ص٥٧، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م) وعلى هذا الرسم لا يحتمل هذا اللفظ إلا أن يقرأ بالرفع.

[١٤٣] قرأ على المطوعي وغيره، من مؤلفاته: المنتهى في القراءات الخمس عشرة، اختلف فيه: فقال فوثقه ابن الجزري وقال عنه: إمام حاذق مشهور ولم يوثقه عدد ممن ترجم له، فقد حكى الواسطي والدارقطني أن الكتاب الذي وضعه في قراءة أبي حنيفة لا أصل له، وحين علم الخزاعي بهذه المقولة كبر ذلك عليه ونزح عن بغداد، ت ٤٠٨هـ (انظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ٢١٢/٢، وابن الجزري، غاية النهاية، ١١٠/٢ ، وحاجي خليفة، كشف الظنون، ٤٩/٦).

[١٤٤] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٥٥/٢ و١٥٦.

[١٤٥] د. عبد العال سالم مكرم، أثر القراءات القرآنية في الدراسات النحوية، ص ٤٩، ط٢.

[١٤٦] صاحب أبي حنيفة، مختلف فيه، فقد وثقه عدد ممن ترجم له، وذكروا أنه كان فاضلا حسن الخلق سهل الجانب فقيها، ، وكذبه غير واحد، ووصفه بالخبث وضعف الرواية، وأن عليه عهدة ما ينسب إلى أبي حنيفة من قراءات، ت ٢٠٤هـ (انظر: ابن النديم، الفهرست ص ٢٥٤، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد،٣٢٦/٧، وابن الجزري، غاية النهاية، ٢١٣/١.)

[١٤٧] ذكر جولد تسيهر في كتابه: مذاهب التفسير الإسلامي أمثلة متعددة لتأييد زعمه: ص ١١ و٢٦ – ٢٨ و ٣٢ و٣٥ – ٣٩ و٦٣ و١٩٦ و١٩٨ و٢٨٢.

[١٤٨] منهم: عبد الفتاح القاضي في كتابه القيم: القراءات في نظر المستشرقين والملحدين، والدكتور: محمد سالم محيسن في آخر كتابه: المغني في القراءات العشر المتواترة، وغيرهما.

المطلب الثالث

خطأ الرواة

اتخذ عدد ممن تعرض للحديث عن القراءات من هذا الأمر متكأ لهم ليردوا من خلاله ما لا يوافق رأيهم من أوجه القراءة، وهذا أمر خطير جدا حين يتعلق بالقراءات المتواترة، فإن نقلتها كانوا في غاية الدقة والانتباه والتمحيص والسؤال عما يمكن أن يشكل عليهم من كيفيات الأداء، وقد عني نقلة القراءات المتواترة بأدق الدقائق فيما يروونه، ومن ذلك مراعاة مقادير المدود، والتفريق بين حركات المد، فالمد بمقدار أربع حركات يختلف عن المد بمقدار خمس حركات أو ست، وللتفخيم درجاته المتعددة، فالحرف المستعلي المفتوح يكون في درجة من التفخيم أعلى من المضموم، حتى الحركة تقسم إلى أكثر من جزء، ففي حال الاختلاس ينطق القارئ بثلثي الحركة[١٤٩]، وفي حال الروم ينطق بثلثها[١٥٠]، وفي حال الإشمام يشير إليها إشارة فقط[١٥١].

فاحتمال حصول خطأ من الرواة في نقل القراءات المتواترة غير مقبول من زاعمه، ومردود عليه، وعلى احتمال حصوله من واحد فلا يتصور حصوله من جماعة كثيرة، فينبه المخطئ ويراجع حتى يصلح ما وقع فيه من خطأ.

أما في القراءات الشاذة، فقد حصل التساهل في نقلها وضبطها، ومن الممكن أن يكون ناقل القراءة وراويها، أو من ينقل عنه قد حصل منه سهو أو خطأ، أو تأثر باللهجة، أو وهم في ضبط القراءة[١٥٢]، فتروى عنه على هذا الوجه، ومن الأمثلة على الوهم في النقل أن أبا

---

[١٤٩] الاختلاس: هو الإسراع بالحركة، والنطق بمعظمها، ويقدر بثلثيها، انظر: الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص ٣١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

[١٥٠] الروم: هو النطق ببعض الحركة بصوت خفي بحيث يسمعها القريب المصغي دون البعيد، ويقدر الباقي من الحركة بثلثها، ويكون الروم في المرفوع والمجرور (انظر: الضباع، الإضاءة، ص ٤٦.)

[١٥١] الإشمام: هو جعل الشفتين بعد النطق بالحرف ساكنا على صورتهما حال النطق بالضمة، ويكون في المرفوع فقط (انظر: علي محمد الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، ص ٤٧).

[١٥٢] ينظر: محمد هادي معرفة التمهيد في علوم القرآن، ١٦/٢ و٢٢ – ٢٥، ود. عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص٢٩٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، ود. محمد الحبش، القراءات المتواترة، ص٤٨، ود. عبد الغفور جعفر، القرآن والقراءات والأحرف السبعة، ص١٣٣.

حاتم السجستاني نسب للأخفش أنه يقرأ: (وقولوا للناس [حسنى، بدل] حسنا) [البقرة/٨٣][١٥٣] بينما الأخفش في كتابه معاني القرآن يستنكر هذه القراءة ويعلق عليها بقوله: " وهذا لا يكاد يكون"[١٥٤]، فهل يتصور أن يقرأ الأخفش بوجه ويستنكره؟ فنسبة هذه القراءة له وهم ممن يروي عنه، أو ينسبها له.

ومن الأمثلة على قراءات شاذة تم التنبيه على احتمال حصول الخطأ فيها من القارئ، ما نسب إلى الحسن أنه قرأ: (ولا [أدرأتكم، بدلا من] أدراكم به) [يونس/١٦] وعلق عليها ابن قتيبة بأن همز أدرأتكم خطأ، وإنما هو من دريت بكذا وكذا[١٥٥]، وما نسب إلى الحسن أيضا أنه قرأ: (وما تنزلت به [الشياطون، بدلا من] الشياطين) [الشعراء/٢١٠] قال عنها أبو حاتم:" هو غلط عند جميع النحويين" وقال الفراء:" غلط الشيخ"، وقال الأصمعي:" هذا لحن فاحش" وقال أبو حيان:" هو شاذ، قاسه على قول العرب: بستان فلان حوله بساتون"[١٥٦]، ومنها قراءة: (والسماء ذات الحبك) [الذاريات/٧] بكسر الحاء وضم الباء، قال عنها ابن جني:" أحسبه سهوا، ذلك أنه ليس في كلامهم فِعُل أصلا بكسر الفاء وضم العين . . ولعل الذي قرأ به تداخلت عليه القراءتان: بالكسر والضم، فكأنه كسر الحاء يريد الحبك – بكسرتين – وأدركه ضم الباء على صورة الحبك – بضمتين – وقد يعرض هذا التداخل في اللفظة الواحدة"[١٥٧]، ومنها القراءة المنسوبة لطلحة: ([فأن: بفتح الهمزة بدلا من] فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا) [الجن/٢٣][١٥٨] قال عنها ابن مجاهد:" ما قرأ بهذا أحد وهو لحن لأنه بعد فاء الشرط"[١٥٩]، والأمثلة على مثل هذا كثيرة[١٦٠].

---

[١٥٣] ذكر ذلك ابن جني في الخصائص، ٣/٣٠١، ونقله عنه محمود الصغير في القراءات الشاذة، ١٤٣، ونسبت هذه القراءة في معجم القراءات القرآنية لأبي والحسن والأخفش وطلحة بن مصرف (انظر: عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ١/٨٠)

[١٥٤] الأخفش، سعيد بن مسعدة، معاني القرآن، تحقيق:د. عبد الأمير محمد أمين الورد، ١/٣٠٩، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

[١٥٥] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، ص٤٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

[١٥٦] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٤٣، مع الهامش، وأبو حيان، البحر المحيط، ١/٣٣٥.

[١٥٧] ابن جني، المحتسب، ٢/٢٨٧.

[١٥٨] ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، ص١٦٣.

[١٥٩] نقله عنه محمود الصغير، القراءات الشاذة، ص ١٦٧.

[١٦٠] ينظر: ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٤٠ ما بعدها، ومحمود عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ١/١٩ – ٩١، دار الحديث، القاهرة، ود. محمود الصغير، القراءات الشاذة، ص ١٣٢ و ١٦٠ و١٦٤ و١٧٢ و١٨٢ و١٨٩ و٢٥٤ وغيرها.

وقد يكون مصدر الخطأ تجويز أحد الأئمة وجها في النحو فينقل عنه على أنه قراءة، مثل ما كان يقوله الفراء في أماكن كثيرة من معاني القرآن، منها ما قاله في قوله تعالى: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) [البقرة/١٩٧] " ولو نصب الفسوق والجدال بالنون لجاز ذلك في غير القرآن"[١٦١]، ونسب أبو حيان[١٦٢] القراءة بتنوين النصب في الألفاظ الثلاثة لأبي رجاء العطاردي[١٦٣]، المتوفى قبل الفراء بحوالي مائة سنة، ويبعد أن لا يكون الفراء قد علم بها، إن كانت نسبتها لأبي رجاء صحيحة، ومنها ما قاله في قوله تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) [البقرة/٢٣٨] " ولو نصب – أي والصلاة – على الحث عليها بفعل مضمر لكان وجها حسنا"[١٦٤]، وقد نقل ذلك على أنه قراءة، نسبها النحاس إلى الرؤاسي ونسبها أبو حيان إلى عائشة[١٦٥]، ولو صحت نسبتها لعائشة لاشتهرت ولما غابت عن الفراء.

وذكر مكي أن في قوله تعالى: (فتلك بيوتهم خاوية) [النمل/٥٢] أنه يجوز الرفع في (خاوية) من خمسة وجوه[١٦٦]، والقراءة بالرفع مذكورة في كتب الشواذ ومنسوبة إلى: عيسى بن عمر ونصر بن عاصم[١٦٧]، ونسبها ابن خالويه[١٦٨]– المتوفى قبل مكي بنحو ستين سنة – إلى أبي معاذ[١٦٩].

قال ابن قتيبة: " وكذلك لحن اللاحنين من القراء المتأخرين لا يجعل حجة على الكتاب، وقد كان الناس قديما يقرأون بلغاتهم كما أعلمتك، ثم خلف قوم بعد قوم من أهل

---

[١٦١] يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، ١/١٢٠، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣ه، ١٩٨٣م.

[١٦٢] أبو حيان، البحر المحيط، ٢/٨٨.

[١٦٣] عمران بن تيم البصري، تابعي كبير، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، عرض القرآن على ابن عباس، وتعلمه من أبي موسى الأشعري، ت ١٥٠هـ عن نحو ١٣٠ سنة(انظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١/٥٨، وابن حجر، تقريب التهذيب، ٢/٨٥).

[١٦٤] الفراء، معاني القرآن، ١/١٥٦.

[١٦٥] النحاس، إعراب القرآن، ١/٢٧٢، وأبو حيان، البحر المحيط، ٢/٢٤٢.

[١٦٦] مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، ٢/٥٣٧.

[١٦٧] الليثي البصري النحوي، تابعي عرض القرآن على أبي الأسود، ويقال إنه أول من نقط المصحف، وكان ثقة، ت ٩٠هـ (انظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، ١/٧١، وابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٣٣٦).

[١٦٨] ابن خالويه، مختصر في شواذ القرآن، تحقيق ج. برجشتراسر، ص١١٠، وعبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ٤/٣٦٠.

[١٦٩] الفضل بن خالد المروزي، روى القراءة عن خارجة بن مصعب، وروى القراءة عنه جماعة، وأكثر الأزهري في تهذيب اللغة من النقل عنه، ت ٢١١هـ (انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ٢/٩، والداودي، طبقات المفسرين، ٢/٣٢).

الأمصار وأبناء العجم ليس لهم طبع اللغة ولا علم التكلف فهفوا في كثير من الحروف وزلوا، وقرأوا بالشاذ وأخلوا"[١٧٠]، وقال أبو شامة[١٧١]:" فكل ذلك – أي القراءات الشاذة المطعون فيها والمتكلم عليها – محمول على قلة ضبط الرواة"[١٧٢].

وقد يكون مصدر الخطأ حصول تصحيف في كتابة اللفظ، أو حصول خطأ من القارئ من المصحف، بسبب ضعف لغته أو عجمته ولا يجد من ينبهه على خطئه، فيظن ما يقرؤه صحيحا وهو تصحيف[١٧٣]، وقد يكون معناه محتملا فيظن السامع أنه وجه من القراءة، وقد يصر القارئ على خطئه ولا يعترف به، بل يخطئ غيره إذا أراد أن يصححه، قال الأعمش:" قرأت عند إبراهيم وطلحة بن مصرف[١٧٤]: (قال [لَمَن] حوله ألا تستمعون) [الشعراء/٢٥] فقال إبراهيم: ما تزال تأتينا بحرف أشنع، إنما هو (لمن حوله) – أي بكسر اللام – واستشهد طلحة فقال مثل قوله، قال الأعمش: فقلت لهما: لحنتما لا أقاعدكما اليوم"[١٧٥]، ولم أعثر على من ذكر هذه القراءة الشاذة التي قرأ بها الأعمش.

قال يوسف زاده[١٧٦]:" وقد يقع في مثل ذلك – أي الشاذ غير المخالف للرسم – المصحَّف والموهوم والمشكوك فيه والأغلوطات"[١٧٧]، وقال محمد هادي معرفة:" ومنها – أي عوامل نشوء الاختلاف في القراءة – ضعف إمكانية القارئ أدبيا، وعدم معرفته بقواعد اللغة فربما يلحن في قراءة القرآن، ويعد ذلك قراءة نظرا لموقعه الاجتماعي المعروف"[١٧٨].

---

[١٧٠] ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص٤١.

[١٧١] عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، إمام كبير في القراءة والفقه والتاريخ، من مؤلفاته: إبراز المعاني شرح حرز الأماني، والمرشد الوجيز وغيرهما، ت ٦٦٥ هـ (انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ١/ ٣٦٥).

[١٧٢] أبو شامة، المرشد الوجيز، ص ١٧٦.

[١٧٣] انظر: د. صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، ص٢٥١، دار العلم للملايين، ط٣، ود. عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ص١٣٣.

[١٧٤] أبو محمد الهمداني الكوفي، تابعي كبير له اختيار في القراءة ينسب إليه، أخذ القراءة عن النخعي وابن وثاب والإعمش،، وكان يسمى: سيد القراء، ت ١١٢ (انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، ١/٣٤٣).

[١٧٥] أورده ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ٤٣.

[١٧٦] عبد الله بن محمد، عالم بالتفسير والقراءات والحديث، تركي المولد والوفاة، من مؤلفاته: الائتلاف في وجوه الاختلاف، وزبدة العرفان في وجوه القرآن، وحاشية على البيضاوي، ت ١١٦٧هـ (انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ٤/١٢٩).

[١٧٧] يوسف زاده، رسالة في شواذ القراءة، الورقة ١٣.

[١٧٨] محمد هادي معرفة، التمهيد، ٢/٣٩.

وقد اعتنى عدد من العلماء بنقل حوادث من التصحيف، مع التنبيه على أنها ليست قراءة، للتحذير منها، وللتنبيه من حصول مثلها مع القارئ، ومن ذلك ما نقله الأصفهاني في ألفاظ منها: (لتكونن من [المرحومين، بدلا من] المرجومين) [الشعراء/١١٦]، و(فإذا هي ثعبان [متين، بدلا من] مبين) [الأعراف/١٠٧] ، و(لو يطيعكم في كثير من الأمر[لُعنتم، بدلا من] لَعَنِتّم)[الحجرات/٧]، و(أم [خشيتم، بدلا من] حسبتم أن تدخلوا الجنة) [البقرة/٢١٤][١٧٩] .

---

[١٧٩] الأصبهاني، حمزة بن الحسن، التنبيه على حدوث التصحيف، تحقيق: محمد أسعد طلس، ص ١٥٨ و١٥٩ ، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، وذكر د. عبد الصبور شاهين، في تاريخ القرآن، أمثلة على التصحيف منها: (يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى [والديك، بدلا من]والدتك) [المائدة/١١٠]، (وفرش [مرقوعة بدلا من] مرفوعة) [الواقعة/٣٤] وغيرها، ص٢١١ و٢١٣.

من نتائج البحث

١- القراءات الشاذة ليست من القرآن، ولا تصح نسبتها إليه البتة، ولا تصح الصلاة بها، وهي أنواع كثيرة، وبعضها أشذ من بعض.

٢- بدأ ظهور القراءات الشاذة بعد قيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه بجمع الناس على مصحفه، وبقي الحد الفاصل بين المتواتر والشاذ غير قاطع، حتى تم التمييز الدقيق بين المتواتر والشاذ في القرن التاسع، على يد الإمام ابن الجزري رحمه الله.

٣- ترجع أسباب وجود القراءات الشاذة إلى أحد أمرين، فإما أن تكون القراءة الشاذة مما كان يُقرأ سابقا ثم نسخ أو ترك، أو خالف الرسم أو قل رواته، وإما أنها لم تكن قراءة في الأصل، وهي: ما ألحق بها وأصله تفسير، وما اجتهد في قراءته، وأخطاء بعض القراء.

٤- إن القول بوجود قراءات شاذة كانت مما يقرأ من قبل، لا يتعارض مع حفظ الله تعالى كتابه من التغيير والتبديل، والزيادة والنقص، فالقرآن محفوظ ومنقول نقلا متواترا، لا ريب فيه ولا تردد، والمنع من القراءة بهذه الأوجه التي انتقلت إلى الشذوذ، هو التصرف الصحيح، وهي قطعا ليست مما أراد الله تعالى له البقاء، وقد كان أئمة القراءة وما زالوا يراعون أعلى درجات الدقة والتثبت في نقل ألفاظ القرآن الكريم، لا تأخذهم في ذلك لومة لائم، ولا يقدمون شيئا على الاعتناء بكتاب الله تعالى وحفظه ونقله.

٥- كان مقياس القراءة الذي أصّله العلماء دقيقا في تحديد القراءة المقبولة من المردودة، واستند العلماء إلى هذا المقياس الضابط في رفض كثير من القراءات واعتبارها شاذة، وهذا يشكل منهجية واضحة في الاحتياط للقرآن ونقل قراءاته.

والله تعالى أعلى وأعلم، وله الحمد أولا وآخرا، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.